

نقد أصول الشيوعية

تأليف

صالح اللحيدان

١٤٠١ هـ

الناشر

مكتبة الحرمين

الرياض ـ البطحاء عمائر الدغيثر ت ٤١٢١٩٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

نقد أصول الشّيوعيّة

الطبعة الثانية

١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله وعلى من دعا بدعوته وسلك سبيله ونهجه القو يم.

أما بعـــد :

فـإن الإنـسـان اليوم محاط بأعداء كثيرين والمسلم بـصـفـة خـاصـة لـه من الأعداء أكثر مما يظنه ــ فقد واجه الإنـسـان والمسلم بخاصة ما لم يخطر على بال إلى أين يتجه هـذا الإنـسـان فـإن أمامه منذر بالخطر وخطورة الخطر وقبله الإنـذار يجعلان الحليم في حيرة يعود بعدها صفر اليدين مما كان و يكون.

لـقـد واجه الانسان في هذا العصر بما انفر به عصره الذى هو فيه واجه الخوف والقلق و واجه الضياع واجه قصر الـنـظـرة والـكـدر و واجه الحرمان والضعف والحيرة و واجه الـظـلال كـل هـذه وغـيـرهـا كـانت من الخطر الذى جره

إلى نفسه الانسان.. ولو قوى صلته بخالقه ومولاه لما كان مما كان ما يحرك القلب أو يدمع العين... ولكنه تحكيم الهوى وحب الذات... إن الشرور متعددة وسبيلها مختلف وغايتها واحدة والدافع لها هو هذا الانسان.

إن مواجهة الخطر أياً كان نوعه دون عدة يعني الخطر... وليست العدة بالممكنة لكل أحد أو موجدة عند كل مطلب بل إنها تحتاج إلى ثمن كي تكون ملكاً لكل من أراد النجاة في هذه الحياة.. إنها القوة الايمانية إنها الايمان بالله.

والانسان اليوم يحتاج الى ما يقومه نحو الأفضل ويبرز الخطأ من الصواب.

إن الانسان لفي شغل شاغل عما حوله ولا يدري حتى يكون المنتهى، وتلك خسارة لم يُلتفت إليها ولم يعرها أي إهتام... وأغلب الظن أنه يملك عقلاً لو حكمه لسار في طريق غير الذي هو فيه.. ولكنها العجلة نحو الزائل وما هو في طريقه إلى الفوات...

إننا نواجه في هذا العصر شراً متمثلاً بالشيوعية

والقاديانية والعلمانية والقومية والرأسمالية إنه شر واحد لأن ما يريده زعماء هذه المذاهب هو السيطرة على الانسان على حساب دين الاسلام، والعلة في تعدد هذه المذاهب مع اتفاق الغاية فيها حتى يمكن جر الانسان عن طريق واسع متعدد المُنحدرات وليت المطلع من المثقفين يدرس على الأقل حقائق هذه المذاهب قبل دراسة الاختلاف فيما بينها إذاً لتبين له خطورة هذا الخطر الساعي الى التدمير والشتات... ويكفي أن يُقال إن الانسان هو مخترع هذا النوع من المذاهب البشرية... وهذا يكفي في القول بقصور وعطل ما أنتجه وينتجه الانسان...

لقد كان اغترار الانسان في حين من الأحيان ان جهل حقائق الاختلاف والاتفاق فيما ظهر على مسرح الحياة... وهذه قضية المفكرين اليوم الذين كان اغترارهم نتيجة عن عدم دراسة الحقائق الكامنة التي تتطلب من كل مثقف ان يكون اكثر عمقاً ودراية من غيره...

وعلى هذا نقول إن اختلاف اسماء بعض المذاهب لا

يعني اختلافها في تحديد الغاية وراء كل ما تسعى إليه...
بل إن اختلافها من حيث الاسماء ناتج عن دراسة طويلة كان فيها الاختلاف كما كان فيها الاتفاق.

وأقرب ما اختلفت الاسماء فيه وأشكل على بعض الناس فهمه الشيوعية... فإن هذا المذهب لولا ما فيه من اختلاف أسمائه الكثيرة[1] لما دخل اكثر البلاد الاسلامية... ولما وجد من يعتني به إذا إستثنينا جملة من الكتاب الشيوعيين في هذه البلاد...

ونستطيع أن ندون هنا دون تردد أن الشيوعية لم تقم علي قدميها خلال هذا الزمن الطويل إلا عن طريقين.

أولاً.. طريق القوة والجبر
ثانياً.. طريق التحليل الغلمي والتأليف الواسع

وفي هذه الرسالة نحاول إن شاء الله بسط القول على كل مطلب مع اعتراف بالقصور والتقصير.

ولعل من الأمور اللافتة للنظر والمحتاجة إلى بيان في

---

(١) الشيوعية تتسمى أحياناً بالاشتراكية = المساواة، حرية الانسان، العدل، الأخوة.

هذا المذهب وأدواره التاريخية المتعاقبة هو ما كان في عصر بنى أمية من حوادث صورها البعض[1] على أنها من إرهاصات لمبادىء هذا المذهب.. وهذا فهم غلط في القراءة والاستنتاج وغلط بمعرفة طبائع الأحوال.. وذلك أن ما قام به إبن سبأ من اعمال خفية واتصاله ببعض الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم كأبي ذرٍ وأبي الدرداء.. لا يمكن أن يكون من الأشتراكية في شيء... ولهذا وقع كثير من الكتاب في الغلط المشبوه غير المحقق.

إن ما فعله أبو ذرٍ من قيامه بما قام به في زمن معاوية رضي الله عنه لا يعتبر من الأمور الخارجة عن الزهد الذي دعا إليه الاسلام... أما أن يقال إن أبا ذر إمام الاشتراكية أو أنه دعا إليها أو هو أول من نادى بها... فإن هذا القول يفقد الدليل وبالتالي يدل على سطحية الكاتب لفهم الحقائق والوقائع عبر التاريخ الطويل... من اجل ذلك لم نجعل هذا من الأدوار التي قام عليها المذهب الشيوعي أو الاشتراكية كما يسميها الكثير.

---

(١) كالعقاد... وعبد الحميد جودة السحار وسواهما

كذلك أغفلنا عن قصد ما قام به « توماس مور » في القرن السادس عشر ولم نجعله من الأدوار التاريخية لهذا المذهب... لأنه لم يقم القيام المُغير للأحوال.. وإنما كان جل ما قام به هو أنه تصور جزيرة تحكم بالنظام الشيوعي لا غير...

وهذا ما دعانا إلى ترك هذين الدورين، ولم نعتبرهما من الأدوار.. ونحن إلى الانكار في الأول أقرب إلى الانكار في الثاني... لأن الأول يفقد كل حدث ودليل. ومن كتب عنه وأدرجه في الأدوار وجعل أبا ذر اشتراكياً من قريب أو بعيد.. فعذره أنه يخضع للأحوال وما تمليه عليه نفسه من الأمور التي يصعب معها الخلاص.

كان هذا اعتراض لا بد منه لعله يجدي أو يدفع الى البحث من جديد... لتتبين أحوال التاريخ ووقائعه عن طريق السعي إلى الحقيقة وإنصاف الواقع المعلوم.

وفي مناقشتنا لأصول الشيوعية كان تعويلنا على مجلة البلاغ إذ هي قد تناولت هذا الموضوع بشيء مفيد.. دفعني هذا الى الرجوع إلى المصادر التي بحثت هذا

الموضوع فدعمته وبلورته بما يسعني امام الله سبحانه وتعالى .

وبقية الموضوع المدون لم ندخر وسعاً في تصوير حقيقته خاصة ما ذكرناه عن الفكر الاسلامي وحاجته إلى النقد . والقصد من كل تدوين هذا الأمر أن نكون على يقين بطبيعة الحال . . وأن نقف موقف العالم الشاعر بالمسؤولية والإثم لا موقف المتفرج الذي لا يهمه إلا أن يشبع لديه غريزة حب الاستطلاع .

إن أملي في الفكر الاسلامي اليوم كبير للغاية إنه أمل من يرى حقائق بوادر الانبلاج .

ولا يفوتنا أن نذكر كيف تبنت اليهودية الشيوعية وهي دين من الأديان والمذهب الشيوعي ينبذ الدين ويحارب الأديان . . . لقد تبنتها لأنها تريد أن يمر العالم بفترة يفقد فيه ربه وينساه . . وذلك عن طريق المذاهب الوضعية للبشر فإذا تم لها هذا الأمر . . عندئذٍ تدعو العالم من جديد وتدلهم على العبادة لله عن طريق مُحرف لا يقوم البتة على صواب وكان الهدف من ذلك كله هو أن يسود اليهود ويكون زمام الحكم بأيديهم كما وضح ذلك

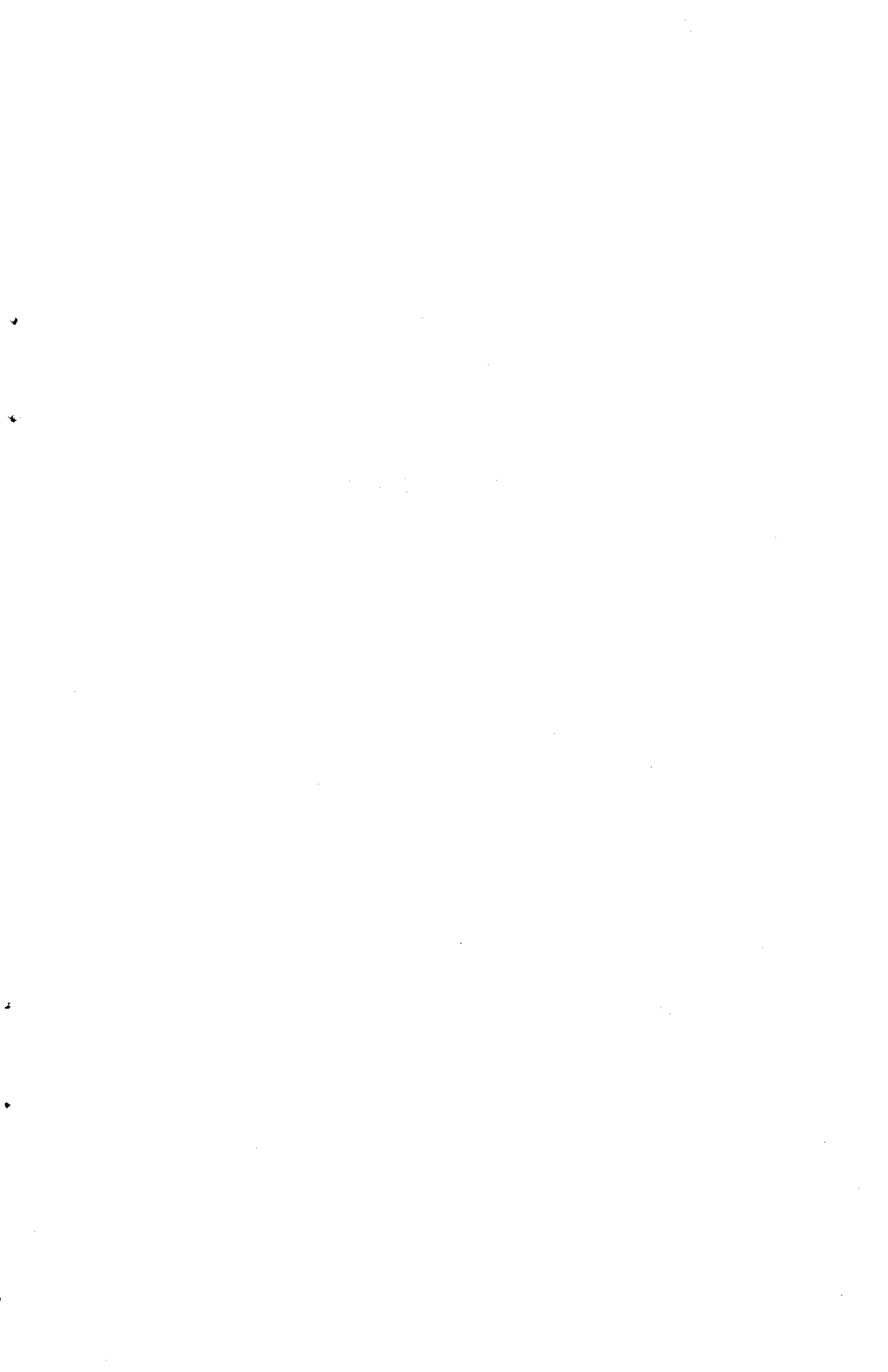
بروتوكولاتهم[١]. وتلك خطورة تدعو إلى أن يقام لها وتفهم على ضوء ما هو مرسوم... وإن نحن تجاهلنا هذا التخطيط أو أهملناه لبعد وقوعه مثلا فلا جرم نكون كبراقش الجانية على نفسها في زمنها القديم.

صالح بن سعد اللحيدان

(١) عد إلى كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» خليفة التونسي.

(٢)

أصْلُ الشِّيُوعِيَّة



حين كنت أدرس في الابتدائية في الصف الرابع من عام ٨٣ هـ . . . كنت جيداً في مادة الخط والانشاء . . وكنت إلى ذلك سفيهاً لا أقدر ما حولي من قريب أو بعيد . . . ولم يكن لدي في ذلك الحين أني سأجر على نفسي مغبة ذلك السفه . . . ولما كنت كذلك فقد نزل هذا من قدري وجعلني لا أستحق التقدير الذي يحظى به بعض أترابي .

وقد صادف أن دعاني مدرس تلك المادتين إلى غرفة المدرسين ليرشدني عن ذلك السفه الذي لا يتناسب وجودتي . . . ولكن لم يستمر في إرشادي إذ ثار جدل عنيف بين بعض الحاضرين من الأساتذة حول مسألة الاقتصاد وطريف الأمر أنه قد دخل سمعي أثناء ذلك الجدل اسم « ماركس » وأنه زعيم المذهب المعروف

بالماركسية... وانتهى النقاش بخروج الدرس وذهاب كل منا إلى فصله أما أنا فقد رسخ في ذهني ذلك الاسم الجديد... ولما كنت معجباً بالرجال فقد حفزني هذا إلى البحث عنه.. ولكنني في آخر الأمر نسيت وأنسيت هذا الاسم.

تلك قصتي مع هذا المذهب ولعله كان خيراً إذ حفزني هذا إلى البحث عن اصل الشيوعية في التواريخ، وما لدي من مراجع لا تغني عن المطلوب...

المَدخل

لقد نقبت في كتب متعددة لمعالجة إرجاع اصل الماركسية إلى مكانها في التاريخ القديم.. ولم يتعسر علي ذلك إذ وجدت هذا مدوناً تدويناً يعطي القليل ويغني عن الكثير... فقد روت كتب التاريخ على سبيل القصة والمثل شيئاً جيداً اغنى في البحث عن كل بحث وقطع بالتالي القول بأن الماركسية جديدة على الانسان في العصر الحديث.

ولعل ما نرويه هنا عن الأصل يغني الباحث ويغني

طالب البحث على السواء عن معرفة منشأ هذا المذهب... وادعاء القطع أن هذا هو الحق فيما نقوله ونرويه لا يمت الى ما نحن بصدده بل نشير أننا اجتهدنا ليس إلا... وعلى الغير التنقيب والتدوير... ومطلب البحث وفائدته في أصل الشيوعية أو الماركسية هدم ما قيل أن ماركس وغيره من المتأخرين هم الزعماء لهذا المذهب بل يقطع القول أن ماركس هو الواحد في المذهب الأخير.

وأيضاً حتى يدرك الباحث المسلم خطورة هذا المذهب وأن له صلة متصلة في الأرض.. وأيضاً حتى نناقش هذا المذهب على ضوء من المعرفة التامة المحيطة بكل جوانب الشيوعية.. وأنصح المثقفين الذين يحاولون الدفاع عن الاسلام ومجاهدة الأعداء أن يستقوا من كتب السلف بل يجب أن يكون تعويلهم عليها فهم انظف عقيدة وأخلص تأليف وأجود عمل وأدرى بمواقع النقد والرد.

ونحن هنا ليس لنا إلا أن نروي ما ورد علينا من أخبار الأولين وما جاء في كتب الفلاسفة اليونانيين في عصرهم القديم إذ منبت الشيوعية كان هناك في أصلها

الأصيل... فقد جاء في كتاب افلاطون «الجمهورية» شيئاً من هذا يعطي ما يكفي في التدليل على نشوء هذا المذهب في ذلك الزمن البعيد فهناك أمثلة خيالية ولمحات عن الاشتراكية أثبتها افلاطون في كتابه تصور حقيقة أن القرن الخامس قبل الميلاد وهو الذي وجد فيه افلاطون كان فيه مبادىء اشتراكية لم تزل في مهدها.. ولعلها لم تجد رواجاً بين سكان ذلك العهد لأنها غريبة عليهم أو بالأصح لأنها نتيجة ردود فعل عنيف لم تجد لها مُتنفساً إلا عن طريق القول والتأليف. يقول افلاطون في كتابه الآنف الذكر ما فحواه: «يجب أن يشتمل النظام على إشتراكية النساء والأولاد، فليس لأحد الحق بانشاء أسرة مستقلة، كما ليس له الحق بتربية الأولاد، لأن الجميع ملك الدولة، وهي وحدها تشرف على تنشئة العضو الصالح، كما تشرف على انجاب النسل المختار» انتهى[1]. هذه زبدة دعوته في كتابه هذا.. وأنت ترى خطورة ذلك حتى على الدولة نفسها شعرت أم لم تشعر.. وذلك أن التشريع العام والخاص يجب أن يترك كله لخالق

---

(١) كتاب. «الجمهورية». ترجمة حنا خباز.

الانسان فهو أعلم بما يصلح له وما لا يصلح . . والتدخل في مثل هذه الأمور معناه هلاك الانسانية ودمارها وفشلها في العمل والتطبيق . وقد تراجع افلاطون في شيخوخته عن بعض افكاره إذ اصدر كتاباً جديداً تحت عنوان « النواميس » وهو في الحقيقة لا يقل خطورة عن الأول لأنه ما زال مصراً على بعض افكاره المنحطة التي لو طبق بعضها مثلاً لرأى الانسان ضياعه قبل الضياع . ولما لم يكن الناس في زمن افلاطون على درجة واحدة من المعرفة والتمييز لم يحاول احد منهم أن يثير هذه المسألة الأمر الذي دعا ذلك المذهب أن يخمد ويتوارى عن العيون ولكن لما كانت كلمات فلاسفة اليونان مدونة في كتب فقد حفظ هذا تلك الأمثلة عن الاشتراكيين وجعلها تعيش القرون لتجد بالتالي مرتعها الخصيب فيما تلي من قرون .

ولا نجد فيما بين أيدينا من مراجع عن تلك الحقبة إلا الشيء اليسير الذي يوقف الباحث ولا يعطيه إلا القليل . . ولكننا ولا مراء نجد منفعة كبيرة إذ أدركنا منشأ الشيوعية في زمن موغل . . وهذا فيه ما يكفي في

المعرفة عن كل معرفة ويدل على الطريق ولو من أضيق طريق.. ومعرفة هذا الدور الذي يمثل الدور الأول ولا نجزم بأوليته يفيدنا من أين استقى هذا المذهب ومن أول رواده في زمنه السحيق.

الدّورُ الثّاني

لقد كانت الفترة الطويلة التي عاشها الزمن ما بين افلاطون ومزدك كفيلة أن تبلور الشيوعية وتجعلها اكثر مرونة مع طول السنين - ويدلنا على هذا ما لاقته من قبول كبير لدى غالبية الناس في زمن ما قبل الاسلام بقليل.

وقد وجد مزدك حوالي القرن الخامس قبل الاسلام في نيسابور وحينما ظهر مهَّد لنفسه فبدأ يبث تعاليمه تدريجياً بين الناس ويغلب على طريقته الذكاء والتأقلم مما جعلها تنتشر في وقت قريب فقد ورد في تاريخ الطبري ما معناه: «إن المازدكية بزعامة مزدك كانت تقول قد جعل الله الأرزاق بين عباده ليقسمها العباد بينهم بالمساواة.. ليعيشوا في هناءورغد إلا أن الناس بغوا

وتظالموا فيما بينهم.. وزعم بعضهم وهم اصحاب مزدك أنهم يأخذون من الغني.. ومن كان عنده فضل من أموال أو نساء أو أمتعة فيجب أن يعطي غيره منها »(١).

وقد تبع هذا القول من مزدك وأتباعه عامة الناس الذين لاحظ لهم من وعي وإدراك مما دفع هؤلاء الناس أن يشايعوه ويقبلوه، وقد جرّ هذا الأمر على بقية الخلق في ذلك الزمن أن اصحاب مزدك كانوا يدخلون البيوت الآمنة فيسلبون وينهبون ما فيها من أموال ومتاع.

ويتحدث الشهرستاني فيقول: «إنه [أي مزدك] ينهي الناس عن الحقد والقتال وما إلى ذلك مما يجرُّ على الناس الخراب ولما رأى أن النساء والأموال هو سبب ذلك فقد أحل النساء وأحل الأموال.. وجعل جميع الناس شركاء في ذلك »(٢). وتوصل الأمر إلى الفوضى في الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية.

هذا باختصار مُجمل ما يمكن أن يقال عن المزدكية وهو

---

(١) تاريخ الأمم والملوك.
(٢) الملل والنحل.

يعطي حقيقة نشاط هذا المذهب.. وأنه نشط حيث وجد وقت الجد والنشاط.

ومزدك كما لا يخفى مما سبق قوله كان صاحب فكرة وغاية وكان في جد بالغ... ولعل هذا من الأسباب الكبيرة في رواج هذا المذهب بين عامة الناس في ذلك العهد...

ولعل مما يزيح الجهل عن معرفة هذا أننا نقول ولا نزيد على الظن والحدس أن الشيوعية قد تبلورت وتماسكت حتى أخذ بزمامها مزدك في هذا القرن.

ونحن نعلم أنه ما من مذهب يوجد في أي زمن من الأزمان إلا ويكون له بعض الأتباع المختلفين في الذكاء والفطنة مما يجعل مذاهب الأرض باقية يتناقلها أناس عن أناس وتبعاً لهذا البقاء يكون التدرج نحو التطور والاتساع. والجهال والعوام من الناس يتبعون الزعماء تلك عادة جرت منذ قديم الزمان. ونهاية مزدك كما ذكر المؤرخون كانت نهاية سيئة بحمد الله فقد قام «قباذ» كسرى وجمع مزدك وأتباعه حين ظهر الفساد واستشرى فقتلهم جميعاً وتنفس الناس تنفس المظلوم الحيران.

ولكن اعمال مزدك وتعاليمه بقيت تعايش القرون، وذلك أن بعض اتباعه الذين لم يقدر الله عليهم الموت قاموا بنشاط سري رهيب الأمر الذي جعل من هذا المذهب باقياً مع الأيام.

الدَّورُ الثَّالِثُ

إن كان موت الرجال يذهب بما يقولونه فهذا باطل لم نسمع به من قبل... وإن كان موتهم يعني موت أجسامهم وكفى.. فهذا حق قال به ويقول به ما تبقى لهم من آثار.. وهذا ما حفظ لنا آثار افلاطون ومزدك وغيرهما وجعلها تسير متطورة مع الزمن في كل زمان.

ولا جدل أن الفترة التي كانت بين مزدك والاسلام كانت فترة متناقضة.. جهل وعلم، نور وظلام، أمن وقتال، وكان إلى جانب ذلك كله كفر وإيمان، كفر مختلف وإيمان مختلف لا يحده حد ولا يقر له قرار.

وحين جاء الاسلام انصرف العرب الى هذا الدين الجديد تاركين كل شيء لا يلتفتون اليه ولا يعيرونه أي إهتمام واستقر الاسلام وآمن الناس وتمكن هذا الدين بجمد

الله من الدخول الى القلوب حتى عم الاسلام الأرض أو كاد . . . بأقل من ربع قرن تقريباً . . . وحين فسد القوم بما داخل قلوبهم من علوم أخرى غير القرآن والحديث وعلومهما نبتت الفرق ونشأت المذاهب المختلفة في القيل والقال . . . ولسنا في معرض القول عن تاريخ تلك المذاهب . . .[1] ولا يهمنا منها إلا ما له صلة بالحديث عما نحن بصدده . . . والذي يهمنا من ذلك مذهب القرامطة . . وهم فرع من فروع الاسماعيلية كذلك هم خليط من الناس لهم اهداف وغايات . . . وقد عُرفت هذه الفرقة بنزعتها الاشتراكية التي تميل الى الإباحية المطلقة في كل شيء . . وقد مهدوا لها بأقوالهم الجذابة زاعمين أن اشتراكيتهم تحقق الأخاء والمساواة والعدل بين الناس . . . ويُعتبر « حمدان قرمط » زعيم القرامطة .

وكان أول ظهورها على بعض الأقوال أنها ظهرت في - الغرب - من واسط حيث اختلاف الناس في الجنسيات مما ييسر جمعهم وتأليفهم تحت قيادة واحدة أياً كانت . . . وقد أسس لهؤلاء القوم « دار الهجرة » فيها يجتمعون

---

(١) راجع ما كتبه أبو زهرة ، وأحمد أمين = مع الحذر في القراءة .

ويؤدون اعمالاً مرتبة مدروسة منظمة مما دعا الى دخول كثير من الناس في هذه الفرقة حيث وجدوا ضالتهم كما يزعمون . . .

وحين رأى حمدان قرمط إنتشار مذهبه وشدة الاقبال عليه أوفد رجالاً ،خاصة الشباب القوي المفكر إلى قرى كثيرة ليناداوا الناس للدخول فيما يدعون إليه . . . وقد اتسع هذا المذهب إتساعاً مروعاً وقامت جمعيات سرية كثيرة . وحين كثر هؤلاء الاتباع وذاع بعض الخبر وانتشر أمرهم إنتشاراً غير مقصود . . . أمر أحد خلفاء بني العباس باخمادها وفعل بهم العجب وذلك عام ٢٩٤ هـ . . . إلا أن هذا الفعل لم يأت عليها كلها وإنما هي فترة حتى ظهرت من جديد . . . فقد قام زعيم جديد هو « أبو طاهر سليمان » ، فأخذ يغزو المدن والقرى وينكل بهم ووصل الأمر الى أن دخل مكة المكرمة وقتل الناس وشرد غيرهم الى كثير من البلاد . . . وكل هذا الذي جرى كان بسبب مذهبهم من اجل أن يحكموا العباد ويقودوهم إلى مراتع الوثنية دع عنك الفوضى والضياع والدمار . ولا مراء بين أحدٍ أنه ما من امرىءٍ له اتباع وأعوان يدعون

له بترتيب وتنظيم ولهم في هذا الطريق وغاية إلا ويتم النجاح بأي طريق يكون النجاح...

ونهاية القرامطة كانت نهاية سيئة بعد أن أفسدوا في الأرض وظلموا وتجبروا وأهانوا الأماكن المقدسة.. وتلك نقمة من الله لكل مفسد في الأرض... ويستحق هؤلاء كل وصمة عار ولعنة أبدية في التاريخ... ولو لم يقولوا بشيء من المنكر لكان دورهم اخبث دور عرفه الانسان فيكفي أنهم أباحوا الأعراض والأموال ودعوا الى الإلحاد وحببوا ذلك إلى النفس.. ويكفي أنهم يحاربون الله ويستعبدون العباد.. وهذه طريقة كل وثنية في التاريخ مع اختلاف الأسماء واختلاف الزمان والمكان.

الدَّوْرُ الرَّابع

هذا الدور أبلغ في القول والشرح مما سبق من أدوار... وتأتي هذه الصفة له لقوته الظاهرة وتأثيره على مجرى الأحداث في القرن الأخير... ومن ثم انقلاب منهج مفهوم التاريخ عما سبق له من ثبات وقرار... ولا يعطي هذا «ماركس» أفضلية بأنه رجل الساعة أو أنه

مُغير مجرى حياة الناس في التاريخ والاقتصاد... لأن هذا الرجل لا يعدو أن يكون صاحب طموح يريد لنفسه مكانة في التاريخ ليبقى ذكره سارياً على لسان كل أحد، وهو أيضاً حسب قراءتي لحياته يشعر بالنقص والفشل في حياته أراد تسديد هذا النقص عن طريق مخالفة الفطرة والعقل دع عنك النقل... وهو يعلم ما في ذلك شك أنه وقف ضد الواقع والمعلوم ولكن هكذا أراد.. ولتكن إرادته ما كانت فسوف يقف امام الله ليرى حسابه وعاقبة أمره وليرى اتباعه من بعده كل ما هو معد لهم من شدة وعقاب اليم. ومدخل الحديث عن عصر ماركس يحتاج الى مجلد ضخم مستقل إلا أن الحديث عن ذلك لا بد منه ليتضح كل شيء وإن كان هذا فيه بعض الاختصار لأن هذا يعطينا صورة عن حياة العصر وعما فيه من أحداث غيرت مجرى تاريخ أوربا في اقل من اعوام معدودات نظراً للقوة العسكرية الغاشمة... والحقيقة أننا لا نستطيع أن نحكم على شيء إلا اذا تصورنا ذلك الشيء والحكم بالظن يجر على الباحث والمفكر وخاصة المؤرخ أشد الأزمات.. ولذلك لم يكتب التاريخ بعد ولم تكتب

حياة القادة حتى هذا الحين... لأن كل هذا يحتاج الى جو من الحرية والتجرد عن النزعات والعصبيات... ولا بأس من قبول ما يكتب اليوم من كلام إذا أُعطي القارىء بعض الادراك والالهام يستطيع عن طريق هذين الأمرين أن يقرأ ما بين السطور، وقل من يكون مثل هذا.. ولذلك تجد اغلب القراء عندنا وإن قرأوا عوام.

العَصْـــر

أوربا بدون شك كانت خالية من قانون يحكمها فضلا عن دين يوجهها نحو حياة أفضل.

لقد كانت أوربا حوالي عام ١٨٤٠ م تحيا صراعاً بشرياً عنيفاً لا يهدأ ولا يستقر، وما إن يستقر حتى يثور من جديد... وفوق كل هذا خراب في خراب ودمار في دمار ويذكر التاريخ المعاصر أن أوربا لم تسلم من ويلات هذه الحروب ففرنسا وألمانيا والمجر وايطاليا والنمسا ذاقت في أقل من وقت قصير شيئاً لا يتصوره عقل بشري... ولا جدل فقد نشأ من جراء ذلك تشرد وضياع وقلق وفساد.

والمؤرخون المعاصرون لأحداث أوربا لم يكتبوا إلا القليل النادر وعذرهم في هذا أنهم يخضعون للاهواء والرغبات والميول وهذا يجعلنا نقف أمام كل كلمة قالها أولئك موقف المستريب وعلينا نحن أن نستقص الأخبار وأن نستشفها من مظانها لنقف على حقيقة كل ما جرى . . . وحياة « ماركس » في هذا يكتنفها غموض من جهتين حياته الأولى ، وحياته اثناء تزعمه المذهب المعروف .

١ ـ أما الجهة الاولى فلا علينا إذا لم نفهمها لأنه لم يصل درجة الاهتمام بدراسة حياته . . اللهم إلا إذا أردنا أن ندرس نفسيته وأطوار تاريخه لنحكم بالتالي على ما قام به من اعمال .

٢ ـ أما الجهة الثانية فنحن بحاجة إلى فهمها لنتمكن من معرفة الملابسات التي أحاطت بحياته ولنتمكن بعدئذٍ من النقاش العلمي الجاد الذي نرجو أن يكون من ورائه الخير الكثير لأمة الاسلام .

ولكي نقف على حقيقة ما نحن بصدده نقول إن ماركس ولد في خضم هذه الحياة المشينة التي لم يقر لها قرار فقد

ولد عام ١٨١٨م من ابوين يهوديين، وكان مولده في مدينة تريف بالمانيا[١].

وشب مع أترابه إلا أنه كان في مقتبل عمره يلاقي ألواناً من الأذى والعذاب مما جعل نفسيته في صغره غير متفقة مع أحدٍ من الناس... ويعتبر ماركس في ايام طفولته في شذوذ كبير ولعل ذلك كان نتيجة ما يلقاه من سوء تربية وسوء إحسان. ولما بلغ من العمر مبلغاً يؤهله للدرس والتحصيل درس الحقوق وتفنن في دراسة الفلسفة والتاريخ[٢] وقد بلغ في الفلسفة مبلغاً كبيراً جعله من المتخصصين في هذا المجال.

فقد درس هذا الفن وعلّمه إلا أنه ترك هذا المجال وبدأ يدخل الحياة السياسية التي فيها مطلبه وشهوته من السمعة والذيوع.

إنتقل «ماركس» إلى باريس بعد أن قام بتحرير مجلة «الغازيت الرينانية» التي أوقفتها الحكومة فيما بعد لمخالفتها النظام.

---

(١) لمحات من تاريخ العالم. نهرو... يقرأ بتحفظٍ زائد.
(٢) المصدر السابق.

وفي باريس قام بكتاباته الاشتراكية منتقداً الفلاسفة والعلماء إلا أن حكومة فرنسا أخرجته فذهب الى بلجيكا حيث إنتسب إلى عصبة الاشتراكيين التي كانت تعمل مع العمال في شتى الأقطار... وقد وجد ماركس في هذا ضالته ولكن لم يدم هذا له فقد أوقفت حكومة بلجيكا نشاطه فعاد إلى فرنسا ثم الى المانيا حيث قام بتأييد حركة العمال، والتقوية من نشاطهم وفي عام ١٨٦٦م أصدر كتابه «رأس المال» الذي يتضمن فلسفته وطريقته في الحياة...

ولولا زميله انجلز لما ذاع لماركس هذا الصيت ولخمد إسمه اقل مما هو عليه الآن.

لقد فعل انجلز شيئاً عجيباً تجاه ماركس فقد أصدر كتابات تشرح وجهة نظر ماركس وتبين أحقيتها ومكانتها مما دعا الكثير من المفكرين في هذا القرن بالذات في الشرق الأوسط إلى تبني هذه النظرية تجاه الحياة.

تلك نقلة قليلة تغني عن الكثير مما يتطلبه القارىء العادي وهي في حقيقتها رسوم وإشارات تفيد ولا تفيد

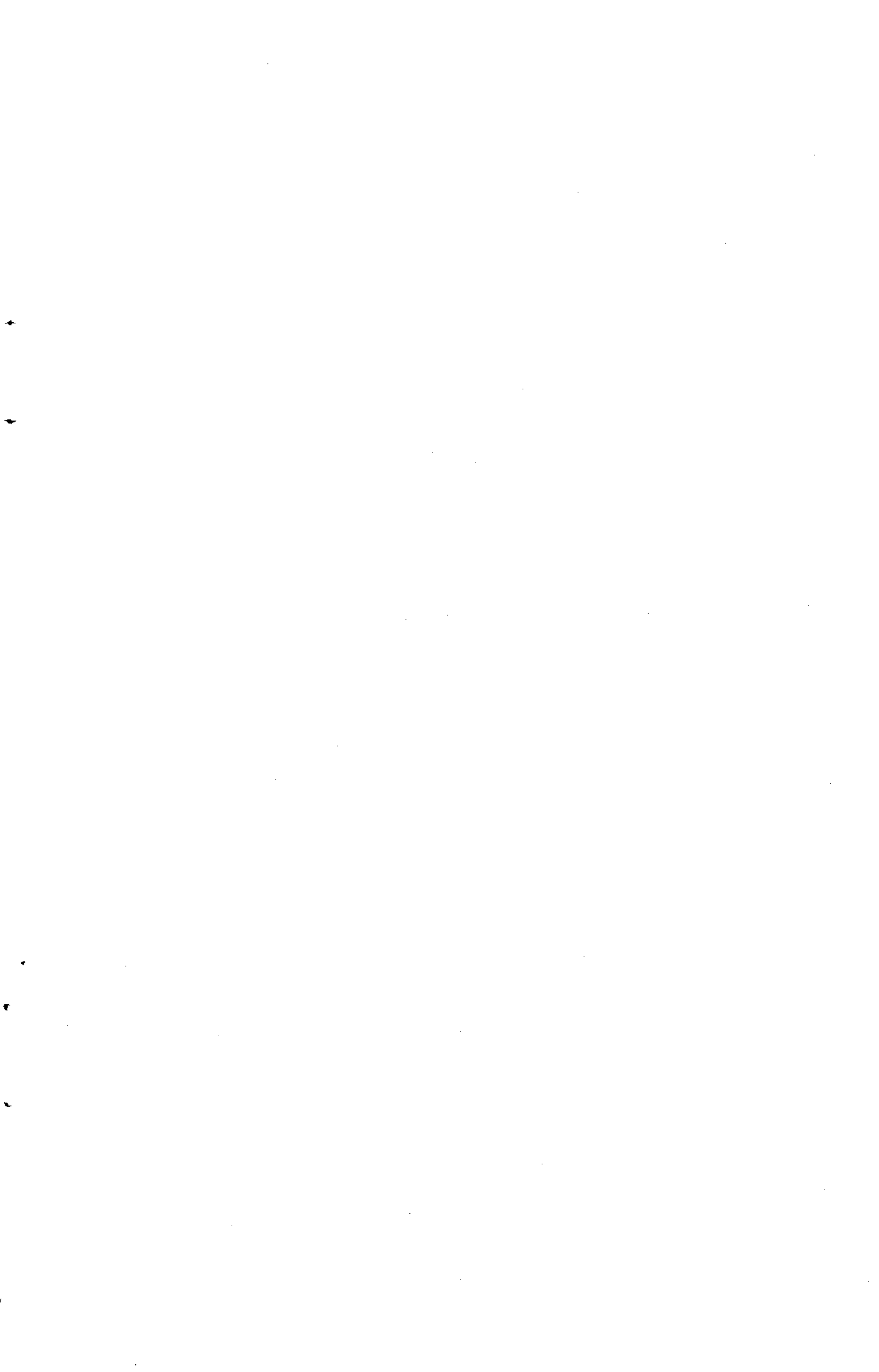
وهدفنا من هذا أن ندرك إرهاصات خروج هذا المذهب وكيف تبلور خلال قرون متطاولة حتى صار له هذا الشأن واهتمامنا بالتاريخ يعطينا إدراكاً اكثر لفهم نظريات هذا المذهب ويوقف المطلع الجيد على المطلوب من كل ذلك.

وحياة الذين أسسوا «الاشتراكية» ليس فيها من الفائدة إلا الوقوف على سبب بروز هذه النظرية أو إن شئت هذا الرأي الى حيز الوجود... وما هي العوامل الكامنة التي حفظت هذا المذهب خلال هذه السنين... بل ما هو سر تطور هذا الرأي في عصرنا الحديث[1].

ومهما يكن قول القائلين في تعليل الأحداث وظهور النتاج البشري في الأرض فهو لا يعدو أن يكون دراسة تاريخية خاصة معرضة للخطأ والصواب.. وليس يوجد اليوم من هذا إلا النزر اليسير.. وكل ما قيل عن ذلك ففيه من الوهم اكثر مما فيه من الحق.. ولعل مرجع ذلك أن المسلمين لم يبحثوا هذا الباب بل لم يحاول أحد منهم

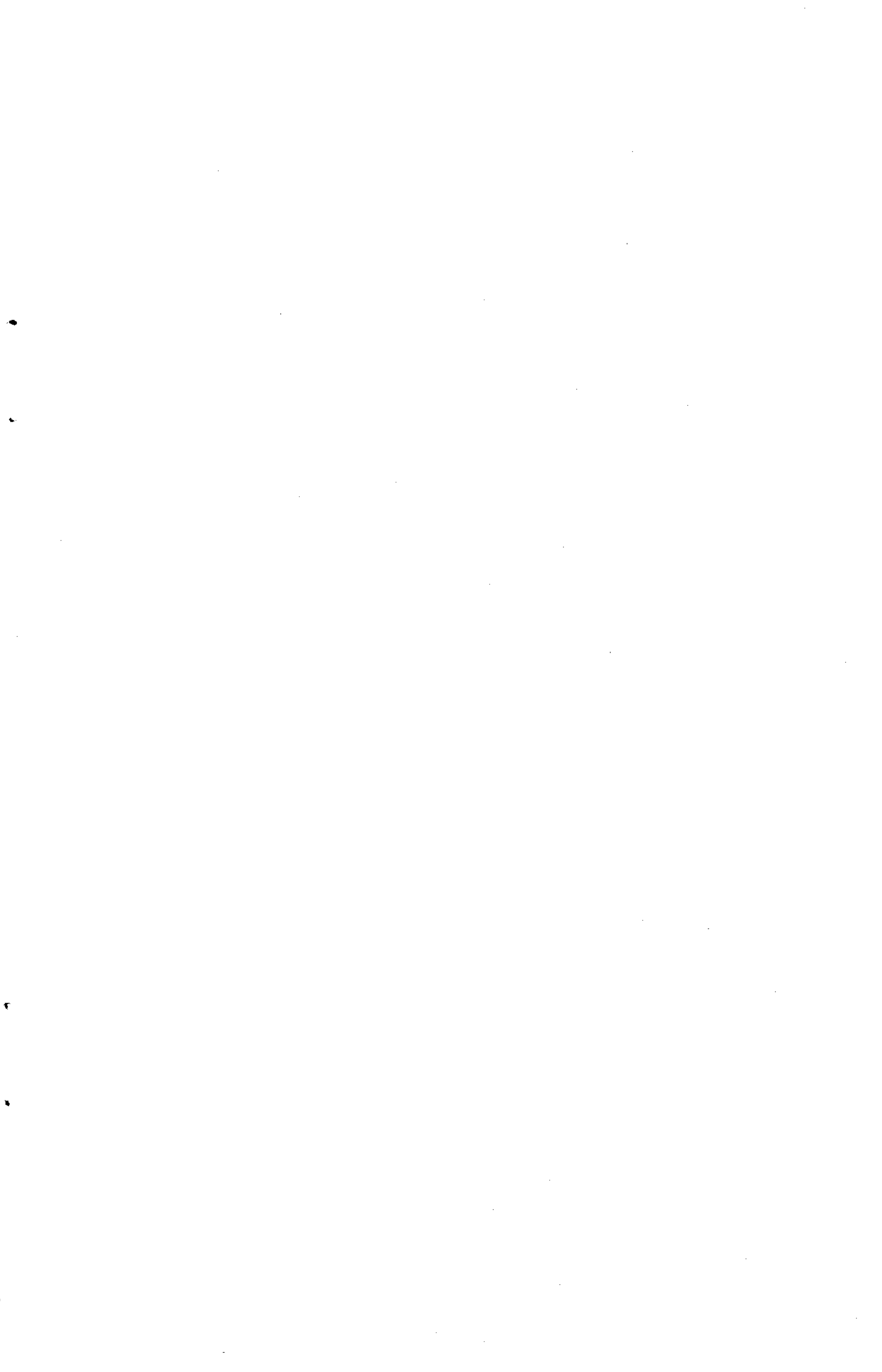
(١) السبب الرئيسي في انتشار الشيوعية «اليهود».

شيئاً من هذا القبيل.. وليس لهم من العذر إلا أن المرجح أنهم في شغل شاغل عما يحوطهم من خطر كبير.



(٣)

تطوّرُ الشّيُوعيَّة



ما من حدث من الأحداث يوجد في أي عصر من العصور... وما من خبر يُقال إلا ويُدون... وفيه من الحقيقة ما يعطي الدليل على سريانه في صلب الأوضاع، ورقيه من دور إلى دور... ولولا ما له من روافد ومن فعاليات تجره إلى الظهور بين كل حين لما كان له من ظهور أو حتى بروز. ولا يتوارى نظام إلا ويخلفه نظام وما تسقط حضارة إلا ويقوم على أنقاضها حضارة فيها مما سبقها القليل أو الكثير تلك سنة مطردة في كيان الامم عبر عهود البشر[1] ولا يستقيم أمر من الأمور إلا لما فيه من خير وصلاح، وما يدوم قول إلا لما يتضمنه من حكمة تدل على السبيل وعلى المنهج المرسوم. ولا جدل بين احدٍ من الناس أن أوضاع الانسان لا تسير في تطور من شيء

(١) حضارة الإسلام... مستقلة بسبلها وغايتها وأهدافها.

الى آخر إلا إذا اعتمدت على ما هو فوق مستوى ذلك الانسان . . .

ومن خلال بحث ما في الأديان السماوية وما وضعه البشر من احكام وقوانين نجد في الأديان السماوية ما هو فوق المستوى إلا أن هذا يكون قاصراً على زمان تلك الأديان أما ما وضعه البشر فيكون للزوال أقرب منه للبقاء على كل حال وأمامنا في عصرنا الراهن بعض الأمور التي عمت وكادت أن تكون شغل الناس .

أمامنا هذا الدين العظيم الذي يجد فيه الانسان الطمأنينة وراحة البال .

وأمامنا كذلك ما ينافي هذا الدين ويحاول أن يحل محله عن طريق السبل المختلفة للوصول الى غاية تقف عند حدها المحدود . . . هذا أمر متفق عليه فالدين اليوم هو محل النظر وهو محط القصد من قبل جميع المنظمات والدعوات الباطلة ولا يخفى أن الدين محفوظ وما من أمرٍ يحفظه الله إلا وهو المحفوظ . . .

ولا قول بتطور الاسلام ، فالاسلام هو كما أنزل لا يحتاج إلى زيادة فضلاً عن نقصان .

والعيب كل العيب أن نجاري العصور ونُخضع هذا الدين لتلك المجاراة زعماً أنه لا بد من مسايرة القرآن للانسان والذي لا غبار عليه أن الانسان وعصوره تخضع وتكون على وفق ما رسم هذا الدين وأُنزل في القرآن.

وأما تطور الدين فليس فيه من تطور لأنه أنزل ليرفع البشرية في كل قرونها... ومهما فعلت البشرية فلا تزال محتاجة إلى هذا الدين لأنه هو الكافل لها وعندئذٍ فلا مزاحمة أن الاسلام للعصور كلها مهما أوتي الانسان.

ولسنا بحاجة لتبيين ما في هذا الدين من قوة وعظمة.. وكيف طاول حياة البشر... ولكن الحاجة تبرز لتبين كيف تتطور أوضاع الانسان.. وكيف تساير الحياة..؟

هذا أمر يحتاج إلى بيان وإلى إستقصاء ودراسة شاملة تعين الانسان الدارس.. ومريد الحقيقة على فهم التطور في الانظمة والأوضاع.

وتطور المذاهب التي يقودها الانسان لا تتطور لذاتها وما فيها من عوامل البقاء والاستمرار... وإنما يكون تطورها لأنها محمية ومدفوعة إلى ذلك بشتى الطرق.

إن هذا التطور الذي ساير ما أوجده البشر لا يعني

التطور وإنما يعني انه قام على ما له من قوى ظاهرة تحفظه من التصدع... إن المشاهد في البنيان الذي يبنيه الانسان إذا لم يحافظ عليه ويرمم بين كل حين وحين فإنه يزول بل يندثر كذلك هذه المذاهب.

وأمر جديد نذكره على سبيل التذكير... إن ما يحدثه الانسان في أي وقت ولا يعتمد إلا على العقل المجرد إذا لم يكن له اكثر من رافد فإنه يضمحل ويخلفه غيره مما يحدث ولا يكون للأول أي ذكر لأنه زال وزال أثره... وإذا كان الأمر بهذه الصفة فإن جيلا أو جيلين من الناس لن تذكره بل تنساه... وخير معول على صدق ما نذكره هذه الأنظمة التي لم يبق منها إلا الخبر على سبيل العبرة والاتعاظ.

وتطور الشيوعية من خلال ما اطلعنا عليه يصور مدى الضوابط القوية التي أحاطت بهذا المذهب... وأنه لولا القوة الجبرية التي حالفت الشيوعية في اكثر من مناسبة لما كان لها هذا الذيوع بين اكثر الأقطار.

إن التطور الشيوعي لا يعني تطور وصلاحية ما فيها من انظمة ومن نظريات عن التاريخ والاقتصاد.. وإنما

تعني أن انظمتها ونظرياتها فساد في فساد .. ويعني البقاء والتطور تلك القوة النارية التي أرغمت الناس على الالتزام وأخذ الأحكام.

إن دوام الشيوعية لأمرٍ خارج عنها فهناك دول وهناك رجال أعلام تبنوا هذا المذهب ولولا هذا الأمر لكان الحدث الشيوعي قد فقد بقاءه منذ أن كان في مهده... لأن طبيعة الانسان من حيث هي تنكر ما في الشيوعية من اقوال تنافي عقل الانسان.

ولا يفوت أن نذكر أن بعض المفكرين من مختلف الأقطار قد عاشوا في جوها ردحاً من الزمن ولما لم يروا شيئاً يفيد العالم اعلنوا قريباً فشلها وأن زوالها في الامكان أن يكون إذا نوقشت نقاشاً علمياً مناسباً[١] ولعل من اضافة القول أن نقول إن النقاش يجب أن يتخصص له رجال يقصرون بحوثهم على هذا المذهب وغيره من المذاهب لأنني لم أر قوة في البحث والأدلة كما رأيتها عند الشيوعيين الذين أخلصوا لها في كل مجال.

---

(١) راجع كتاب. «الصنم الذي هوى». لعدة مؤلفين أجانب.

ويمكننا بعد ذكر ما ذكرناه من قول كان لا بد من ذكره أن ندرس مراحل تطور الشيوعية في العالم . . . وليس هذا التطور مقصوراً على عالم دون عالم بل قد شمل العالم كله وذلك من خلال أمور عجيبة قد يحتار الانسان في قبولها لا سيما إذا علم أن بلاد الاسلام قد ظهر فيها من يدعو الى هذا المذهب . . . وليس لنا في ذلك الا جلب الأدلة ويبقى على الغير القول في مجال الكلام .

ولعل من أبرز أسباب تطور الشيوعية هذه الأمور التي نأخذها من خلال ما حدث أخيراً من قيام الحروب والثورات . . . ومجمل الأسباب هي كما يأتي :

أولاً . . قامت الثورة الروسية في أعقاب الحرب العالمية ولو أنها لم تقم إلا في سنة ١٩١٧ م لنشرت اتجاهات الدين والمثل والأخلاق . . ولكن الحظ حالف الفكر الشيوعي لأنه وجد في هذه الثورة من يقويه ويكتب عنه في أقوى أساليب النشر المدعمة بالأدلة .

ثانياً . . بعد قيام الحرب العالمية الأولى قامت الحرب العالمية الثانية وقد حصل الاتحاد السوفييتي على شيء كبير من النصر العسكري والسياسي والاجتماعي الذي

دعم قوة النشاط الشيوعي .

ثالثاً .. ما في الغرب من أخطاء كثيرة لحل المشاكل المتعددة الناجمة عن فقدان الدين ... وهذا قوى من نشاط المذهب الشيوعي وآزره ودفعه ليكون المخلص من أزمات الانسان في تلك البقعة .

رابعاً .. ما تقوم به اليهودية العالمية من إستغلال لنشر هذا المذهب عن طريق احدث الوسائل الجديدة التي ثبتت من دعائم الشيوعية في اكثر من قطر .

خامساً .. الاستعمار له أثر ظاهر في انحطاط وتأخر الشعوب المستعمرة وذلك عن طريق الكبت وقفل باب الحرية الأمر الذي أفسح المجال لانتشار الشيوعية .

سادساً .. قوة وسائل الاعلام المنتشرة هنا وهناك والدعاية الظاهرة الواسعة .

سابعاً .. ما يقوم به الشيوعيون من بحث علمي جاد مستند على أدلة مغرية تقول بأن الدين خرافة .

ثامناً .. تفرق كلمة المسلمين وانقسامهم على أنفسهم

وتباعد ما بين اقطارهم وهذا أضعف العقيدة وذبذب المسلمين.

هذه مجمل الأسباب وآكدها في القول بتطور الشيوعية وهي في الواقع ملموسة... ولو قام علماء متخصصون لهذه المسألة بالذات لأمكننا معالجة «الفكر الشيوعي» وبيان ما فيه من هلاك للانسان مدة ما هو عامل فيه أو معجب به أو منفذ له.

التطوّرُ الشّيُوعِيُ في البِلادِ الإسْلاميّة :

إن كان لا بد من عجب فهنا موضع العجب الذي لا شك فيه.. وإن كان لا بد من إستنكار فهذا مكان الاستنكار.

وإن يكن العدو من غير جنسك ومنتماك فهذا ليس بالمستغرب وإن يكن منك وفي حدود دينك وموطنك فهذا الغريب المستغرب الذي يحتاج الى درس وإيضاح.

وحينما يقال العالم الاسلامي قد أصابه ما أصاب العالم الآخر فلسنا نجانب الحقيقة ونذكر الأوهام وإنما نقول الواقع الذي لمسناه من خلال الثقافة.. والتاريخ..

والاقتصاد .. والأدب وعلى سبيل التخصيص كل ما ينتمي الى الاسلام من فكر حديث تزعمه جلة من المفكرين في شتى الأقطار .

ولعل السبب الراجح على كل سبب مرجوح في دخول اكثر المثقفين في بعض زلات الشيوعية ... هو ما قام به أكثر من مفكرٍ مجددٍ يحبذ الشيوعية بأساليب واضحة ... وخاصة ما كتب في مجال الأدب العربي وهو نوع من الأدب الاسلامي الكبير وإن كنا نقصر الحديث مع الدليل على الأدب والفكر فلا يعني هذا القصر عليهما ، بل إن هذه صورة من صور في شتى مجالات الثقافة على العموم .

ولو أن مجال هذه الرسالة يتسع لإيراد كل ما قيل عن الشيوعية لأثبتناه ولكن كما قلنا إن صورة واحدة تغني عن كل صورة في كل مجال ، وليس على المثقف والداعية الى الله المتمكن من الاسلام والايمان إلا أن يقرأ ويفهم من أجل أن يقف على خطر هذا المذهب في العصر الحديث ونحن هنا نكتفي بشيئين نرى أنهما من الكفاية بمكان وهما ولا جرم يعطيان الحق على ما نقوله

ونورده... ولسنا نتهم احداً مهما كان دون دليل وإن كان الدليل غير لازم فهو هنا لازم لا محيد عنه لأن الذين سنذكرهم لهم ذكر جيد بعيد ستر ما لهم من هفوات... وأملي كبير أن يعود القراء والمثقفون الى موطن الحق وينسون الاعجاب الذي عادة يكون مغطياً وحاجباً على ما للآخرين مِن باطل خاصة كبار المشتهرين الذين هم أولى من غيرهم بالنقد والبيان.

ونورد الآن أقوال الذين أعلنوها صريحة دون خجلٍ أو خوف من هؤلاء على سبيل المثال: قسطنطين زريق.. وهو وإن كان اسلوبه ركيكاً إلا أن له خطره يقول في كتابه «نحن والتاريخ» بعد دعوته الى القومية والعلمانية «إن للمذهب الماركسي الذي يتضمن هذا التعليل سحره وفتنته خاصة لمجتمع في مثل وضعنا السياسي والاجتماعي والعقلي فهو صادر من البلاد التي تنازع الغرب السلطة والنفوذ والزعامة». ويقول ايضاً: «ثم إنه مذهب يبدو محكماً متماسكاً يعلل الأشياء والأحداث تعليلاً مبسطاً حتمياً ويبشر بالثورة سبيلا للتقدم وينظر الى المستقبل نظرة تفاؤلية قاطعاً الوعود العذبة الخلابة وناسجاً الآمال

الزاهرة وفي هذا ما فيه من جذب وسحر للشعوب التي ناءت بالذل والجمود زمناً طويلاً ... وأخذت تتطلع الى الرخاء والعدل والمساواة »[1] .

اكبر الظن أن قسطنطين زريق بوق لا اكثر ولا أقل وإلا هو يعلم يقيناً ما في الماركسية من أمور مشينة ذاق طعمها أكثر من واحد واليقين أنه لم يعش في جو ديني يجعله أكثر تعقلا من هذا الهراء ، والعلم أنه يعلم أن للمذهب الماركسي خطره على الانسان والدول والحكومات ... وشل الأفكار وتقييد الحريات وكبت العقول ولكن لندعه وما في نفسيته من أزمات وردود فعل نتيجة لخلو قلبه وجسمه من الروح المعنوية المؤمنة بالله .

ويقول محمد أحمد خلف الله في كتابه « القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة » .

« الأفكار الجديدة التي نعتمد عليها في إحداث التغييرات الجذرية هي التي تسمى في مجتمع اليوم باسم

---

(١) نحن والتاريخ:ص٤٠ و٤١ .

الاشتراكية أو المبادىء الاشتراكية وهي ليست بالافكار أو المبادىء البعيدة كل البعد عن المضامين القرآنية »[1].

وخلف الله هذا كاتب أشكل عليه فهم تفسير القرآن وصعب عليه الفكر الاسلامي الأصيل عند الطبري والقرطبي وابن كثير وذلك بسبب أنه مجدد يريد أن يعيش الانسان في عصر اشتراكي يُغني عن كل عصر مضى... وهو بالتالي كسابقه في أنه مقلد وذنب وعبد ليس إلا... ولعله يخشى أن يكون رجعياً إذا سار على طريقة السلف الصالح من هذه الأمة.

ويقول خالد محمد خالد في كتابه « من هنا نبدأ »:

« إن هذا الكتاب ليحاول محاولة صادقة أن يجيب على هذا السؤال وهو يرسم الخطوط الرئيسية لتحول اجتماعي وديع يفضي بنا الى قومية شاملة لا تنافر فيها والى اشتراكية عادلة لا استغلال ولا ظلم فيها، والى وعي ناجح سليم لا سلطان للرجعية ولا للكهانة عليه وإلى

(١) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة: ص٤٧.

سلامٍ غامرٍ يبدل حقد المجتمع حباً »[1].

هذا كلام خالد محمد خالد ولقد قرأت ثلاثة كتب تتصارع على الدعوة الى الحرية المطلقة كلها من خط يده... وأحسبه عاد الى الحق والله حسبه... ولكن يبقى عليه امام الله ثم امام التاريخ بعد التوبة الدائمة الصادقة أن يتبرأ من كتبه ويعلن ذلك جهراً... وكتاباته التاريخية طيبة سهلة الأسلوب رقيقة المعنى جذابة اللفظ حسنة النظم، وهذا جيد يدعو القارىء الى الاقبال على القراءة ومن ثم الاستفادة ويبقى على خالد محمد خالد الاعلان والبراءة والقيام ضد ما كان يدعو اليه من قبل.

ولعلنا بهذا القدر وهو الشيء الاول نكتفي بما أوردناهَ من ايراد قليل... ويكفي أننا أعطينا صورة قيس عليها غيرها في كل كتاب أورد فيه صاحبه دعوة صريحة أو خفية مضادة للعقيدة الاسلامية... والذين لم نذكرهم في هذه العجالة ولم نورد لهم أدلة كما سقنا هنا عن الذين

(١) «من هنا نبدأ»: ص١٩... وقد رد عليه الغزالي رداً يحتاج إلى نظر.

ذكرناهم وجلبنا لهم الأدلة يكون هذا من القواعد على القياس فيقاس كل كلام على ما يشابهه من كلام.

ونقول أخيراً لعل الخطورة في كتابة هؤلاء تقل خطورة عن خطورة الذين لم يصرحوا بدعوتهم أو أنهم صرحوا ولكنهم عرفوا كيف يصرحون.. ويتضح هذا قريباً من ايراد الأدلة. الشيء الثاني نثبته هنا وهو من الخطورة بحيث لا يمكن اغفاله بل لا بد من الاشارة اليه مع إيراد الدليل. ونحن ازاء هذا الأمر نقف عند الظاهر ونحكم عليهم من خلاله أما الباطن له الله سبحانه وتعالى... ومن المفيد جداً أن نغربل أقوالهم ونشير إليها من قريب... والذي نذكره مما نقلناه من كتبهم هو وحده الكافي في الحكم على ما لهم وعليهم في ميزان النقد والتحليل، ولولا خطورة هذا الأمر وشدته وابهامه احياناً على الكثير لما تعرضنا له ولأمسكنا عنه ووكلنا أمرهم الى الله من قبل ومن بعد.

وأمر نذكره قبل نقل الكلام عنهم وهو أنهم لم يقولوا شيئاً عن الشيوعية بيد أنهم مهدوا لها ولغيرها سواء أرادوا أو لم يريدوا فمن يقدح بدين الاسلام ويكون ضده

فهو يطلب غيره ليحل محله وهذا أمر مفروغ منه... وهو ليس بحاجة الى قول أحد من القائلين... ولا نعتذر في النقد بل نقول إننا لا نتعذر ومطلبنا توحيد الفكر الاسلامي ونبذ كل أديب ومؤرخ وكاتب غير مسلم إلا أن هداه الله وتاب وأناب فحينئذٍ نكون سوى، يقول طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر»، رداً على سؤال مُقدر: ما هو التجديد الذي نحتاج إليه في العصر الحديث...؟

يقول: «السبيل الى ذلك واحدة فذة ليس لها تعدد وهي: أن نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها وما يُحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب»[1].

ويقول كلاماً يُحسد عليه: «من المحقق أن تطور الحياة الانسانية قد قضى منذ عهدٍ بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدول»[2]. يُعرف طه حسين باسلوبه السهل

(١) مستقبل الثقافة في مصر: جـ١ ص٤٥.
(٢) مستقبل الثقافة في مصر: ج١ ص١٥.

الممتنع الذي لا يصعب على أحدٍ ما فيه ولا يخفى ما يحمله من طوايا يشير اليها من قريبٍ أو بعيد. . . وهو هنا يريد أن ننسلخ من الدين وعاداته لنلحق بالأوربيين في كل شيء وهو هنا ايضاً لا يتورع لأنه عرف بالجرأة في نقده وانتقاده، تلك الجرأة التي أوصلته مكاناً بعيداً عن سبيل الحق والهدى والصواب في اغلب ما يقول ويكتب. . .

وخطورة طه حسين تأتي من أنه جريء في كلامه لا يلتفت الى خطورة ما يحمله ذلك الكلام. . . وهذا يعود الى ما لقيه من تربية وما تغذى عليه من علم مخالف للعلم النافع الأكيد ،وتأتي خطورته أيضاً أن له بعض المعجبين الضعيفي الادراك أو البعيدين عن جو المعرفة المستقلة التي تحمل صاحبها العاقل الحر الى نبذ ونقد كل قول مهما كان القائل وعلى أي درجة يكون، ولطه حسين كتاب آخر له دوره في هذا المجال هو كتاب «في الأدب الجاهلي» فيه شيء من التنقص بالدين وفيه مبالغة في التشهير بالأدب العربي. . . وخطورته شديدة على من لم يدرك حقائق العلم وفنون اللغة والأدب ومنهج الشعر

الجاهلي وطبيعته على الوجه الصحيح .

وهذا لا يقدح بطه حسين على القول بأنه رجع وعاد الى الرشد فنحن لا نذم كلامه ولا نذمه إن كان كذلك والقول بأنه رجع موضع شك كبير . . فليس بين أيدينا ما يؤيد ذلك إلا كتابات إسلامية ضعيفة ليتنا سلمنا منها ومعنى الرجعة في عرف العلماء التوبة على اصح تقدير وللتوبة شروطها ومنها البراءة مما كتب ونبذ ما قال وهذا لم يقله طه حسين ولم نسمع به .

ويقول علي عبد الرازق في كتابه « الاسلام وأصول الحكم » .

« ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها إيمان القلب وخضوعه خضوعاً صادقاً تاماً يتبعه خضوع الجسم » . « وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد اخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلب اتصال » .

ويُفصل القول فيقول :

« تلك ولاية هداية إلى الله وإرشاد إليه . . . وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض . . . تلك للدين وهذه للدنيا تلك لله وهذه للناس تلك زعامة دينية وهذه زعامة

سياسية وما أبعد ما بين السياسة والدين..»[1]. أنا انكر كل الانكار أن يكون علي عبد الرازق مقتنعاً بما يقول وأتحداه على ذلك.. وكأنّما بعقله مقتنع بخلاف ما يتلفظ به لسانه ويجري به قلمه... وأجزم أنه محروم من الشهرة وانتشار الصيت فأراد ذلك على حساب الاسلام وأحكامه. وكلامه هنا فيه إفساح لغيرالاسلام، وفيه ولا مراء عناد ومكابرة ورفض ورد لما جاء به القرآن ووردت به السنة من أن الدين الاسلامي دين ودولة مصحف وسيف عبادة وجهاد قول وعمل.

ولعله يريد علمنة الدولة أو يريد قصر الدين على العبادة وكفى، أو لعله يريد حكم ماركس وافلاطون ومزدك وغيرهم.. أما أنا فأقول إنه يريد كل ذلك ويدعو إليه ويتشبث به وإلا فما هدفه من وراء كلامه إن لم يكن كلامه مدعاة لكل تهمة.. ومن خلال دراستي لحياته الشخصية اتضح لي معاناته لبعض الأمراض النفسية ولذلك تجده غير مركز في كلامه ودعوته وحتى سلوكه وأعماله في البيت والعمل وخطورة كتاب علي عبد

---

(١) الإسلام وأصول الحكم: ص٦٩.

الرازق تأتي من أنه بحث من نوع رفيع وإن كان مفككاً وقد اعتمد مؤلفه على أقوال جملة من خصوم الاسلام، وهو بحث فيه وضوح بجانب أن فيه ذكاء ونوع تعريض... والكتاب بجملته من أخطر ما قرأت في هذا المجال لا سيما ومؤلفه من رجال القضاء وأدرك شيئاً لا بأس به من أحكام هذا الدين فهو إذاً عرف ثم قال وتلك خطورة لا تضارع في حقل الاعتداء وايراد الأوهام.
ويقول ميخائيل نُعيمة في كلمة نشرتها له مجلة «الآداب»: «في رأيي أن الدرس الأكبر الذي يجب أن يتعلمه العرب من هزيمتهم النكراء أن الدنيا لا تساس بالدين فالدين موطنه السماء التي لا يعرفها أحد والدنيا موطنها الأرض التي لا يجهلها أحد».

ويقول في وقاحة:

«فاذا كان العرب ممن يعتقدون أن حقوقهم لا تصان ولا تسترد إلا بالحرب وأن الحرب لا يكسبها الا السلاح وأن السلام لا يخلقه الا العلم والمال فما عليهم إلا أن يتعبدوا للعلم والمال لعل العلم والمال لا يخذلانهم حيث

خذلهم ربهم »[1]

تلك وقاحة وتلك بلية والأردى أن القائل دخيل على الأمة وممن يوثق بكلامهم عند القراء عامة في مجال النقد والأدب وهما بغية المتأدبين في العهد الراهن حيث انصرف كثير من القراء خاصة كبار المثقفين انصرفوا عن الكتاب والسنة وكتب السلف الأخيار .

وميخائيل نعيمة معهود عنه التحلل والدعوة الى الحرية البهيمية ولعله كما قيل لي بصفة شخصية من دعاة الالحاد وعبادة غير الله ، ولا يبعد هذا ما دام كلامه دندنة حول الوثنية والذين نالوا من الدين الاسلامي في شتى العصور المتعاقبة وخاصة في هذا العصر قد فتحوا باباً كبيراً للوقوع العقلي في براثن الوثنية المختلفة .

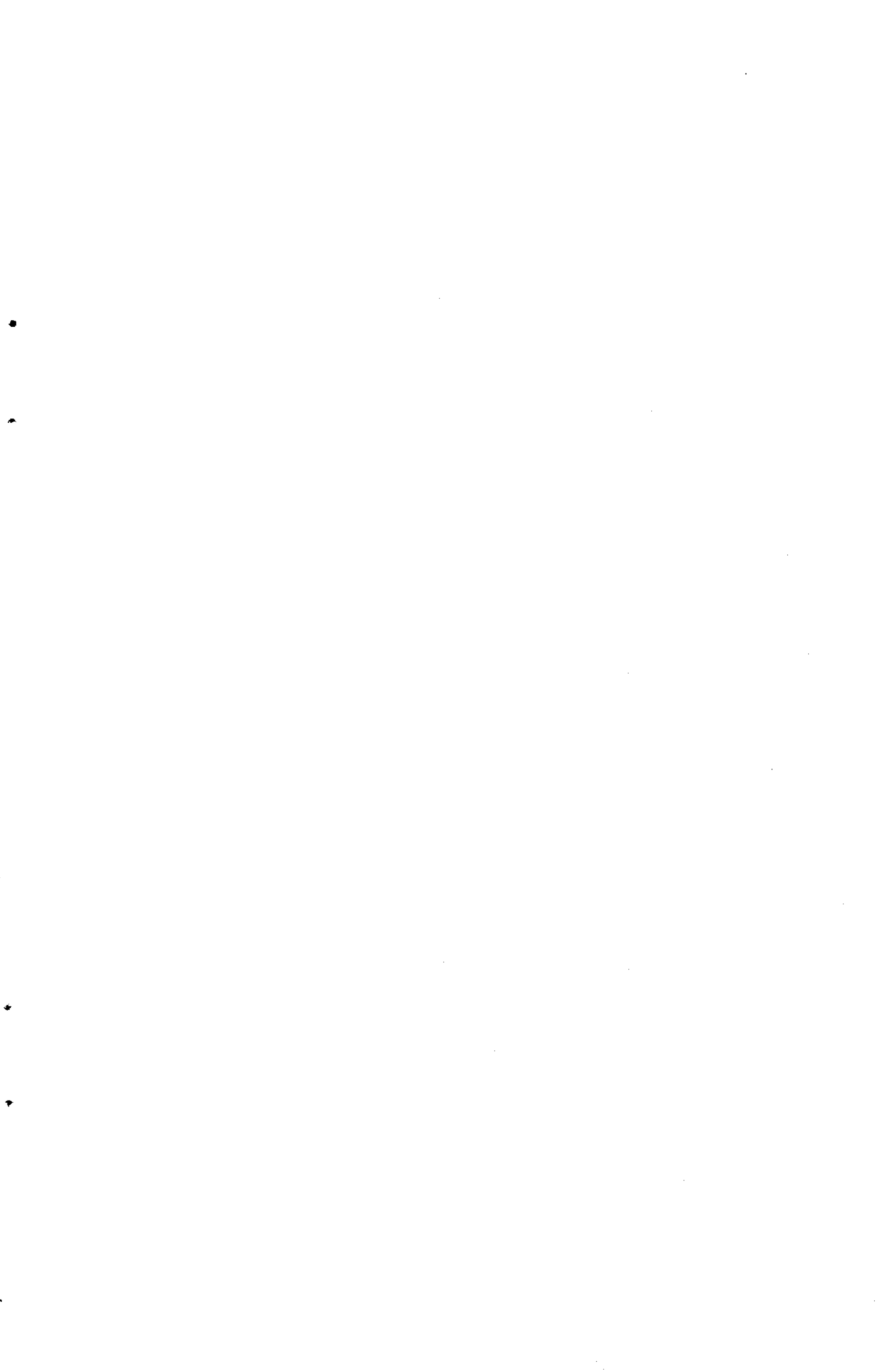
وهم من ثم قد هونوا من شأن هذا الدين في نفوس بعض أهله الذين أغلبهم اليوم في مهب الريح .

ولكـني أرى بوادر الإفـاقـة يسطـع نورهـا من قُرب ويقترب من الانسان السادر المعتوه .

---

(١) الآداب ـ عام ١٩٦٧م .

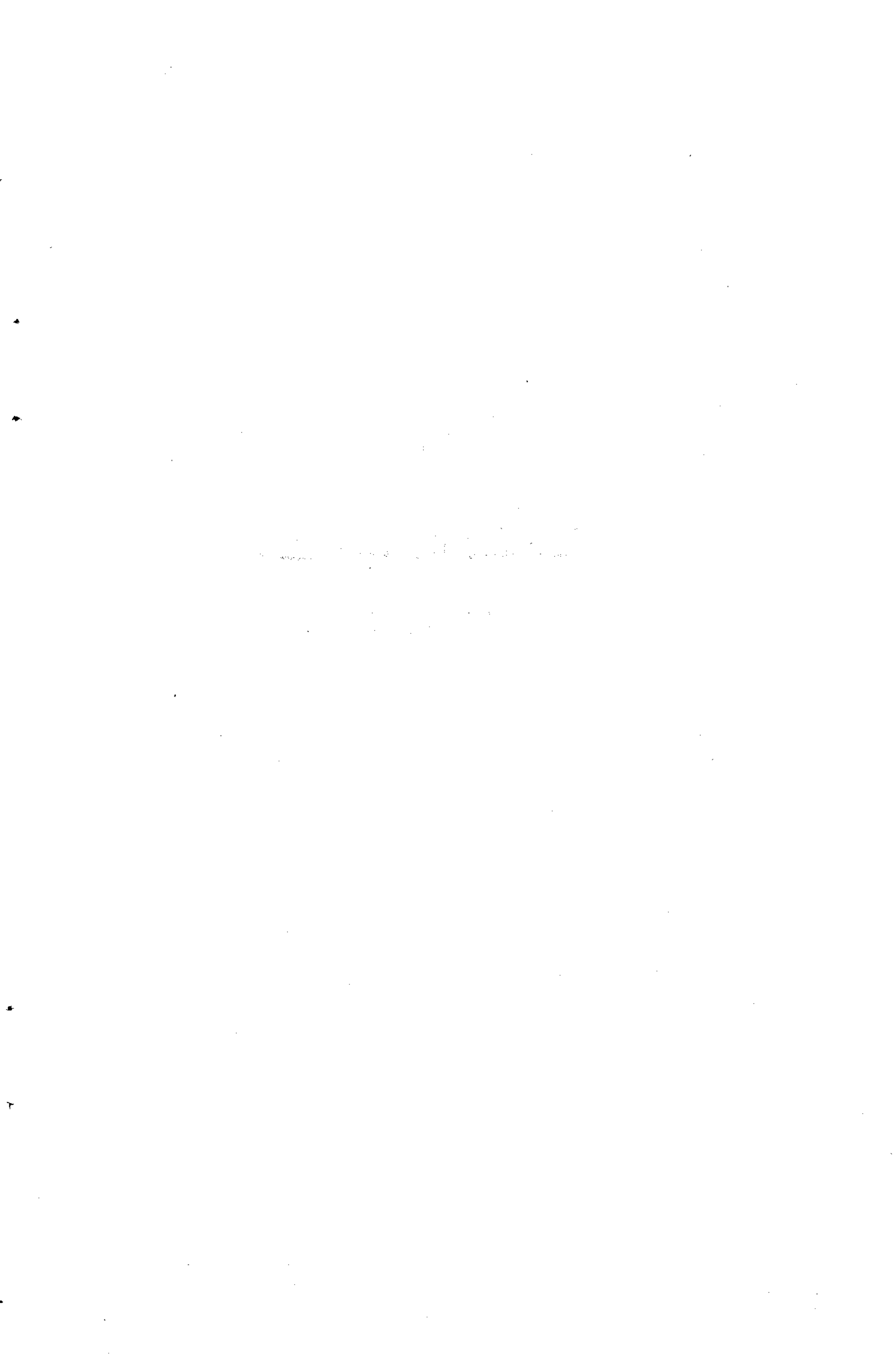
وأرى إقراراً بوعد الله لعباده أن هذا العمل العدائي ليس إلا سحـابـة سوف يُرى من خـلالها القمر وتسطـع الشمس ويزول الركام وتهطل الأمطار . ﴿ولينصرنَّ الله مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ .



(٤)

نَقْدُ أُصُولِ الشُّيُوعِيَّة

القِسْمُ الأوَّل



يعتقد الشيوعيون المعاصرون وكذلك بعض المتقدمين أن الطبيعة بما فيها من حوادث وأفكار ليست في حالة سكون وجمود بل إنها في حالة تجدد وتطور لا ينقطعان، وأن فيهـــا دائماً شيء يولـــد ويتطور وشيء ينحـــل ويضمحـل[1] والشيوعية من أجل ذلك لا تقف نظريتها الى الحوادث والأفكار من حيث علاقات بعضها ببعض بل من حيث حركتها كذلك.

ونحن هنا نستطيع نقد ومناقشة الشيوعيين اصلاً ونستطيع بمن الله أن نتواضع معهم كما أمر الدين بذلك، دين الاسلام مع جميع الخصوم في كل العهود... وذلك بأن نثبت سبق غير الشيوعيين الى هذا الأصل.. وأنهم لم يكن لهم البتة إلا مجرد التقليد والمحاكاة.. والحق أن

---

(١) البلاغ: ص٣٨ وما بعدها.

التطور مسألة فطرية وهبها الله عز وجل لخلقه... ومن الحمق الكبير أن ينادي بها إنسان ما ثم يزعم أنه هو أول من قال بذلك... وأنه أول موجد لها ومن وليدات مذهبه أو تفكيره على الأقل.

إن مسألة التطور معروفة من قديم الزمان حتى عند الذين يجهلون ذلك.. إن المخلوق بطبيعته متطور ومن ثم فهو يدرك ذلك خاصة الذين توسعوا بالعلوم وأدركوا بعض حقائق العلم... ولا ريب هنا اذا اتضح ذلك بطلان إدعاء المدعين في الحديث والقديم... إن المفكرين الذين كانوا قبل زعماء الماركسيين بقرون طوال قد أدركوا ذلك بما وهبهم الله من فطرة وإدراك... وعرفوا أن هناك تصوراً يساير الانسان ابداً فقد كان طاليس ٤٠٠ق م يعتقد «أن العالم جامد وأن اصل التطور فيه أصل ثابت».

كما أن هرقيل ٥٠٠ق م كان يُشبه العالم بنهر جار وذلك يعني التطور... وليس هذا فحسب فان اكثر الذين يعيشون في بيئات مختلفة من الأرض قد تنقلوا من حالة الى حالة اخرى... وقد قالوا بذلك قبل ظهور ما يُسمى

اليوم بالمذهب الماركسي منذ آمادٍ موغلة في القدم . . . ولو ذهب الانسان يبحث في الأرض لنطق الواقع وتحدث التاريخ ولحدثه المحسوس أنه عاين ذلك . . . ألا يكون هذا هو التطور المودع من قبل الله في الكائنات قبل زعم الزاعمين .

الإسلام

ولقد قال الاسلام منذ نوح عليه الصلاة والسلام بالتطور وحركة التجدد وأخبر الله سبحانه وتعالى بذلك . . . والقرآن الكريم مليء بذلك ، كما أن السنة أشادت بهذا إشادة تغني اللبيب . . . إن الفطرة السليمة التي لم يشبها كدر ولم يخالطها ريب أو قذر تدرك كل ما يمكن أن يكون في حدود الطاقة الانسانية مما أودعه الله في كل مخلوق . . وتعرف وبالتالي تعقل . . . وهنا من العيب الدال على السخافة المناداة بشيء قد عُرف وعقله الناس على مر الأزمان والشيوعية ليست الوحيدة التي نادت بما أثبته الله تعالى ثم ادعت أنها اخترعته وأنه من أصولها ابداً . . . فإن هناك غير الشيوعيين من المذاهب الكثيرة اليوم ومن المذاهب السحيقة قد قالت بذلك بيد أنها بجمد

الله وخلال فترة من الزمن ماعت وماع معها ادعاؤها ولن تبرح الشيوعية فتموع ... ونحن هنا نرى أن الشيوعية دائماً تحاول إيجاد موجود دون دليل وإن كان الدليل مفقوداً وإن كان موجوداً.

إن الشيوعية في عملها وكل أعمالها تقصد بناء مذهبها على شيء مدرك لكنها تحاول أن تظهر للناس... أنها منقذة وهي تحتاج بل فرض علينا إنقاذها... إن الشيوعية حينما ترى شيئاً يوافق ما تدعو اليه تلتزم به ثم تعود الى ما لا يتصوره عقل... ونحن اذا تعمقنا في مناقشة الشيوعية أو بالأصح الماركسية حول مفهوم التطور نجد عجباً يتجنبه فاقد الشعور... كيف كان ذلك...؟

إنها هنا في مسألة التطور وهو الأصل الأول في نظرياتها تحاول ظناً وتوهماً أن تقول أن كل موجود:

أولاً.. وجد متطوراً دون إيجاد.

ثانياً.. أن الانسان متطور عبر العهود المتطاولة منه إلى قرد[1].

---

(١) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها.

ثالثاً.. أن الانسان أشبه ما يكون بالحر المطلق غير المقيد فهو موجود من غير شيء وسيصير الى غير شيء ومن ثم فهو يجب عليه أن يكون حر التصرف من الأكل والشرب والنكاح من كل شيء وفي كل شيء.

والشيوعية تحاول هكذا تحريف كل قاعدة فطرية تتخذها لنفسها... ولا أعلم مدى قول الشيوعيين عن الأمور الجديدة التي خالفت نظريتهم اصلاً وخرجت عما قاله الزعماء الأولون... إن الشيوعيين اليوم يتخذون وسائل عديدة لتبرير صلاحية مذهبهم وما يقولون به من أمور وقواعد... وهم يجدون ويلمسون انواعاً من المخالفات التي نبذت الشيوعية من الجذور.. إن الفشل الذي بدأ الآن في صلب وأوضاع الشيوعية وهو يتمشى بها الآن الى الأفول يعطي صورة حقيقية على خيبة ظنهم.. ولعل الذين نبذوا الشيوعية كما جاء في كتاب «الصنم الذي هوى» يعطي أكبر دليل على أن الزعماء والرفاق يقتلون أنفسهم تحت العبودية.

التّناقضُ التطوّري

ونعني بهذا تناقضات التطور في المذهب الشيوعي الحديث.. الذي يقول: إن كل شيء حتى الحوادث التاريخية تزخر بتناقضات داخلية وفيها دائماً عناصر تضمحل وعناصر تتطور وهذا التناقض هو الذي يدفع بالانسان الى الحركة والجريان المستمر... لأن الأضداد والنقائض الموجودة في داخل الشيء الواحد تجلب حتماً صراعاً مريراً لكسب المعرفة... ومن هنا ينبثق التطور[1] ولعل الشيوعية في هذا الأصل الثاني «التناقض التطوري» تتغافل أكثر من اللازم وتحاول تعامياً عن الحق الذي تزعم مسلكه أن تجمع بين النقيضين في شيء واحد... ولعلها كذلك ذهبت مذهباً ما ذُهب اليه... ولم يُعرف من قبل ولا من بعد ذلك أنها اعتقدت مجازفة، أن اجتماع النقيضين قانون عام للطبيعة والوجود وهي هنا لا تناقش إذ هي اقل من ذلك فهي كمن يقول: رأيت حياً وميتاً في آن[2] وليس هذا مجازاً كما يظهر للوهلة الأولى

---

(١) البلاغ: ص٣٩ ـ عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
(٢) التدمرية: ص٢٥ وما بعدها.

فهو حق... ولا يعلم حتى هذا الحين حقيقة هذا القول عندهم أعني.. كيف قالوا به.. ولعله منهم غير مُستنكر فهم في الحق قد قالوا أشد من ذلك فالخلق صدفة وطبيعة... ويمكننا بعد هذا كله أن ندفع هذه النظرية بأنه ما دام هذا الأمر واقعاً وكل الموجودات تخضع له على زعمهم فهل يحق لنا القول: ان الشيوعية خاضعة ايضاً لهذا النظام التناقضي... إننا ولا ريب نرى الشيوعية في حمق بل جنون بالغ فكيف وهي مذهب بشري أوجده بشر ناقصون تدعي أن التناقض موجود... ثم هي لا تقول به على أنه ينطبق عليها.. لقد ظن بعض الناس حيناً من الدهر صلاحية هذا المذهب وما برح بعض البسطاء كذلك. ويوم ظهر هذا الأصل لاكثر الناس خالفوا أنفسهم وظنوا أخيراً أنهم فيما مضى في سبات عميق... الشمس طالعة غائبة، الرجل صحيح مريض كل هذا في لحظة واحدة. هذا باطل.. يخالف طبائع الأشياء وحينما تبين ذلك عاد هذا الأكثر عنها... ولكن مع ذلك.. وهذا مدار العجب في كل العصور التزمت الشيوعية بما قالت به.

الفطـــرة

إن الشيوعية خالفت فطرة الانسان وركبت الصعب في تقرير ما ذهبت إليه ولا يمكن لانسان مهما أوتي من علم وذكاء أن يحاول ادعاء ما لا يكون... إن الشيوعية قد خالفت الفطرة ثم خالفت نفسها في واحد من الوقت... وليت لي بماركس أو لينين أو ستالين أو ماو ومن قبلهم انجلز يرون المخالفات التي رمت بهذا المذهب بعيداً عن الموافقة والتطبيق حتى في البلاد الشيوعية... ومن ثم فللعاقل من جميع الأزمنة أن يدرك سر هذا التناقض في مذهب يدعي أنه الوحيد لبني الانسان.

إن الشيوعية ظنت أنها الوحيدة في هذا الكون العظيم التي تستطيع إرواء عطش الانسان ابد الدهر، وقد فاتها وهي مدركة ذلك: أن الانسان خلقه الله وهو اعلم به إذ خلقه،ومن ثم ما الذي يصلح له وما الذي لا يصلح له.

وهنا يحق القول أن الشيوعية حين ردت وحاربت الكلام الإلهي ونبذت الأديان تستطيع العودة إلى الله والرجوع إليه وإبتغاء ما عنده...

ولا يفوت أن الانسان مهما تكبر ومهما غالى وارتفع ومهما تزعم وترأس وقاد لا بد له من العودة الى الله والمصير إليه.

إن الشيوعيين في العصور المتأخرة ليسوا هم الوحيدين الذين فرقوا بين الله ورسله، وبين الله وعباده. فقد كان في كل عصر من العصور المتقدمة أمثالهم. بيد أن صلة اليهود بالشيوعية جعلها أشر ما عرف من شر وخراب... والشيوعيون أدركوا جنايتهم أولاً. ولكن لم يعودوا.. هروباً من الواقع ومغالطة للنفس.. والحمد لله.. فليذهب من ذهب الى ما ذهب إليه، وفي الآخرين خير إن عادوا الى فطرتهم السليمة.

قفزات التَّطَوُر: ونعني بذلك أنهم يريدون: أن لكل شيء إنقلاباً مفاجئاً إلى ضده وذلك بفعل العوامل الداخلية والتناقضات الذاتية.

فالبيضة مثلا: تتفاعل القوى الداخلية المتناقضة فيها... حتى إذا وصلت الى مرحلة خاصة انقلبت الى

---

(١) وكذلك ثمر الموز والتفاح والبرتقال وكل الثمار.

الفرخة فجأة، والماء إذا بلغت درجة الحرارة فيه الى مائة درجة يتحول فجأة إلى بخار[1].

هذا الأصل يُعتبر من الأصول الأساسية في المذهب الشيوعي وتبنته الشيوعية المعاصرة لأنها رأت أنه من دعائم اثبات وجودها ومن مبررات صلاحية نظامها. ونحن نجزم أنها ليست منطقية... وأجزم ايضاً بعد مطالعتي أصول مذهب ماركس.. وانجلز.. ولينين.. وماو. والردود على ذلك أنهم لم يخاطبوا إلا البسطاء من الناس.. إنهم يخاطبون أُناساً لا يعلمون وفي الحق أن نظرة سريعة إلى هذا الأصل المُعتبر عندهم تكفي لنقضه فضلا عن أنه ليس لها وليست له...

إننا أمام هذا الأصل الذي سنرى فيما بعد نقضه وتهافُته ولا يمكن أن نزيد على ذكر أنه واهن لدرجة الموت... لقد ظن الشيوعيون منذ القدم قبل ماركس تقريباً الذي نشر اليهود اسمه أخيراً - أنهم يكتبون ويحققون لأناس أقل منهم دراية ومعرفة للأمور - وظنوا أنهم علماء

وغيرهم بمنزلة المتبع المقلد محجور الذهن والعقل . . . وهذا يعطينا أنهم في غرور زائدٍ أكيد . . . ولا جدال بين احد من الناس أن الغرور مرض عقلي بالغ[1] ويُشعر الغرور بنقص صاحبه فهو يحاول جاهداً ولو على حساب العقيدة أن يسد هذا النقص بمخالفة الواقع والصدود عن الحق ليشتهر بين الناس العوام .

إننا هنا يمكن بعد الذي قلناه أن ننتقد هذا الأصل أو هذا الرأي بما يأتي :

أولاً . . إن الشيوعية لما رأت هذا الرأي الزمت أتباعها به وخيل إليها أنه لا يمكن معارضتها بحال . . . وهي كما يُلاحظ قد تجاهلت العلم والتجربة وصدت عن ذلك .

ثانياً . . إننا بالنظر إلى مثال البيضة التي تحولت الى فرخة،والماء الذي تحول الى بخار.يمكننا ببساطة أن نخالف هذا من أصله وذلك أن التناقضات الداخلية في البيضة وكذلك الماء ليست هي التي صيرت البيضة الى فرخة والماء الى بخار بل إن مرجع ذلك كله الحرارة الخارجية

---

(١) مفتاح دار السعادة : جـ١ ص٦٥ .

بقدرة الله وحكمته . . . وقد علم من اقدم الأزمنة أن هذه الحرارة هي الأصل في ذلك ولا خلاف . . . ولكن بالرغم من كل هذا فإن المُعاصرين الشيوعيين قد خالفوا ما اتفق عليه والذي صدقه الواقع في العصور المتأخرة حيث العلم والتجربة . . . وبهذا يتضح جلياً أن سبب الحركة والتطور ليس في التناقضات الداخلية كما جاء في هذا الأصل . . بل من العوامل الخارجية .

ثالثاً . . أنه باستطاعة الانسان أن يمنع من قفزات التطور وليس هذا بصعب فإن منع العوامل الخارجية المؤثرة على الظواهر ،تؤثر ولا ريب في ايجاد هذه القفزات فلا تكون قفزات التطور . . . والحالة هذه قانوناً أساسياً في الطبيعة . . . ولعل هذا يحققه دون جدال تجارب الانسان الواقعة هنا وهناك . ومن الممكن جداً تقرير هذا الرأي أو النظرية في محيط الناس . . . ومن هذا الطريق فإنه من الأنانية ادعاء هذا كشيء خاص لأناس مخصوصين . . . وحينئذٍ يُرى ولا ريب أنه قد صار من السهل دحر الشيوعية الماركسية من الأصل .

رابعاً . . كذلك في مجال النقاش في نقد آراء ونظريات

هذا المذهب نستطيع ايراد جملة من الصور الحسية التي تلزم هؤلاء القوم بالخجل على اقل التقادير من هذه الصور مثلا : تدرج الجنين في بطن أمه ، ثم تدرجه بعد ظهوره من جنين إلى طفل الى شاب الى كهل الى شيخ كل ذلك يحدث بصورة تدريجية ،لا قفزات كما يدعون .

كذلك الأشجار والنباتات وما شاكل ذلك يتدرج من شيء اصغر الى شيء اكبر.. وهكذا في كل مخلوقات الله يمكن تطبيق ذلك...

ولعل الأمر قد أصبح بعد تبلور الأحداث الجديدة من الظهور بمكان يصعب معه مناقشة هؤلاء من الشيوعيين في كل بقعة وموطن.. لأنهم هنا قد انكشفوا امام الناس وهم ولا جرم في انكشافٍ سافر دائماً فهم قد خالفوا العقل الذي يستدلون به وصادموا الفطرة التي يقولون إنها معنا في الدلالة على ما ذهبنا إليه.

قانون الإرتباط العام : والشيوعية المعاصرة تعنى بهذا في مجال التطبيق أن «كل جزء من أجزاء الطبيعة بما فيها الأحداث مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً عضوياً بالاجزاء الأخرى ، وأن كل حدث إنما هو انفعال

لأحداث أخرى، وأن هناك تأثيراً متقابلاً في اجزاء الطبيعة ».. « فلا يمكن أن تدرس الطبيعة حال فصل بعضها عن بعض وتجريد البعض عن ظروفه وشروطه وعما يرتبط بمواقعه من ماض وحاضر ».

والشيوعيون كما جرت عادتهم يزعمون أنهم لم يُسبقوا في هذا ويخالون كذلك أنهم هم الذين قالوا بذلك قبل غيرهم من القائلين... ونحن مع أننا ندرك جيداً أن الشيوعية يعلم اصحابها أنهم في هذا على خطأ كبير إلا أنه يقال في مثل هذه الحالة يحسن نقاشهم أولاً بصرف النظر عما إذا كانوا يعلمون أو لا يعلمون، إذ أن هذا قد يجلب خيراً يحبه الله ورسوله .فقد يرى بعض المغلوبين على أمرهم خطأ هذه النظرية وتلاعب الشيوعيين فيدعوهم الى قبول الحق والدخول في الاسلام... ولعلنا في مجال النقد نذكر أن الشيوعية في هذا الأصل قد سُبقت كما ذكرنا بقرون من الصعب تحديدها أو على الأقل معرفة العهد الذي كان ذلك فيه... ولكن يكفي أنها سُبقت ونعني بهذا السبق السبق البشري الذي لم يعتمد على دين إطلاقاً... وإلا فالقرآن والسنة بحمد الله قد بينا وحدة الكون والحياة والانسان ووضحا ذلك توضيحاً ما أتى قبله مثله ولن يأتي

بعده مثله... وهذه الوحدة التي بينها القرآن ودلت عليها السنة تدل على خطأ الشيوعيين وغلطتهم التي لا تغتفر.إن الاسلام لا ينهى الانسان أن يبحث أو يناقش... ولكن ينهى عن التعنت والتعجيز المقصود من ورائه مخالفة سنن الكون فضلا عن مجادلة الشيوعيين وطريقتهم في «من خلق الكون». «ما سبب الحروب»، «لماذا يختلف الناس في المال من حيث الغنى والفقر».

كَيْف

ونقول هنا في معرض النقد لهذا الأصل... كيف يمكن القول «بأن للمجرات التي هي في حالة التكوين تأثيراً على مصير قارة أفريقيا... كذلك كيف يمكن أن يقال بأن لحركة الاسماك في المحيط الهندي تأثيراً على الانسان الموجود في تونس أو العراق».

ثم كيف يُدعى بأن للمجرات تأثيراً مختلفاً: من مجرة إلى أخرى في حياة الناس... كذلك كيف يمكن وهذا غريب جداً أن يدعى أن للتحولات الاجتماعية في حياتها تأثيراً

على التحولات الاجتماعية في حياة الانسان في الأرض .

إن أصول الشيوعية قد اثبتت بنفسها الفشل وأدرك ذلك كثير من الذين عاشوا ردحاً من الزمن في حياضها إن العلم الذي تطور بعد موت زعماء هذا الفكر قد اثبت بجدارة،لا سخف الشيوعيين فحسب.بل حمق أصحابها إن الشيوعية في تبنيها للمنطق الديالكتيكي المهزوز جهلا به إنما تبنته لأنها عرفته أحسن منطق يمكن أن يدر عليها الهناء والسعادة ولو على حساب الآخرين . . . والشيوعية حين بينت هذا المنطق وحاولت تشهيره بين البشرية عموماً إنما أرادت تبرير موقفها من الانسان والمجتمع والتاريخ . . . ولكن قد خاب ظنها وبار موقفها فإن الذين درسوا الشيوعية وتفهموا عن دراية أخطارها المختلفة لا على الانسان وحده بل على الخيرات والمنافع بينوا حقيقة الشيوعية كما لو كانت جبلا منحازاً يراه كل عابر سبيل ومن هذا يُعرف مكمن الضرر والخطورة في ذلك المذهب الخطير الذي يوشك بمن الله وقدرته أن يزول من على وجه الأرض .

إن هذا الذي نقوله نؤكده ونصرُّ عليه لأن الثقة بالله كبيرة .

الظروف الاقتصادية

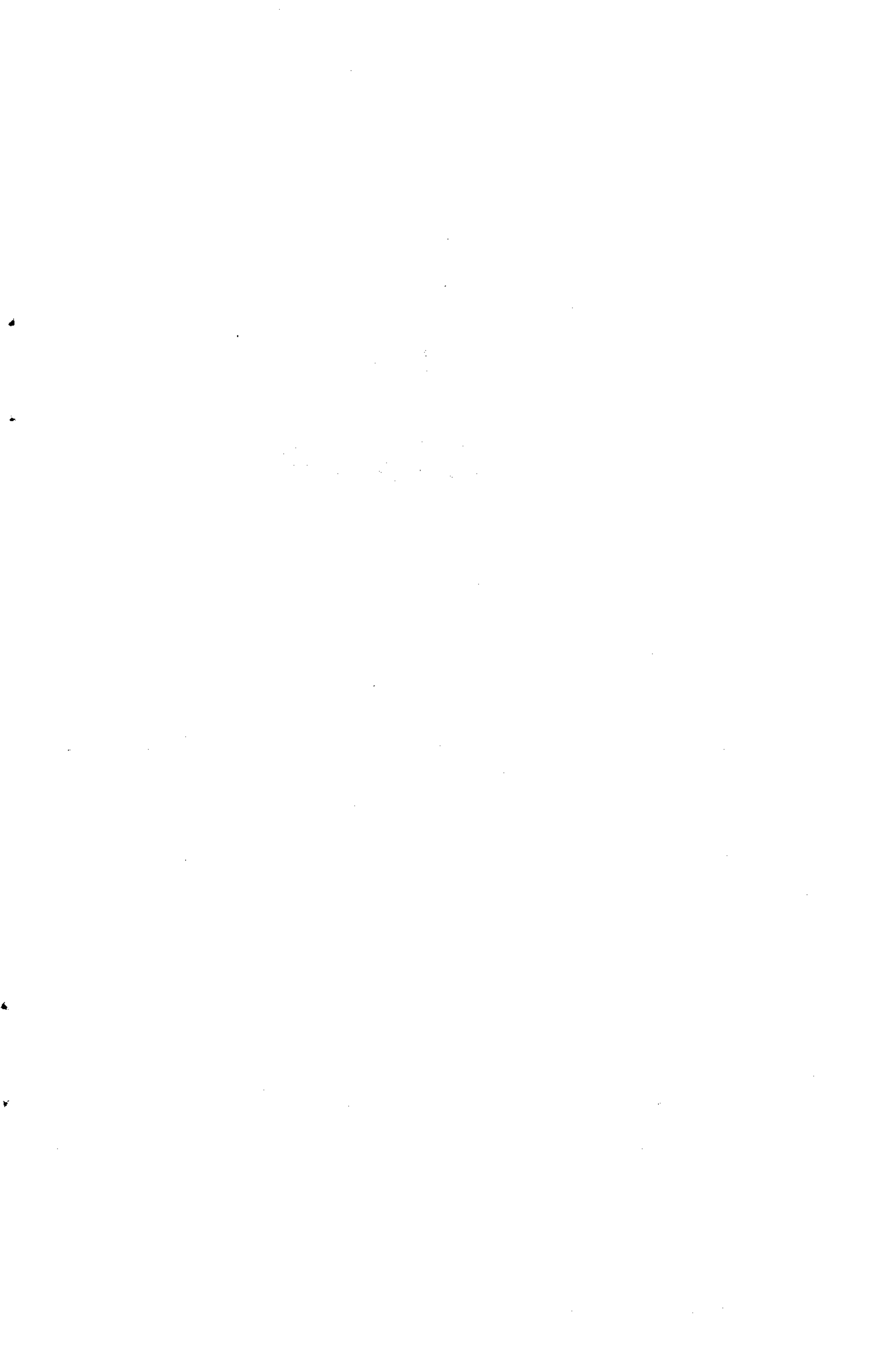
لعل البحث في نهاية هذا الأصل يتناول بطبيعته أمراً مفزعاً كثيراً ما يذكره الشيوعيون وكثيراً ما صدقهم بعض الناس واتخذوا قولهم هذا عين الصواب ومحط الآمال في الحياة وبعد الممات... ذلك أنهم يعللون ظهور الأديان السماوية ووجودها بتفاعيل اقتصادية بحتة فهم يقولون: «إن الظروف الاقتصادية هي التي سببت ظهور الأديان»، وهين علينا أن نقول بأن: «نفس تلك الظروف والفوائد المادية هي التي وجهت أفكار ماركس الى تبني المنطق الديالكتيكي، أو النظرية المادية»[1].

---

(١) الرأسمالية هي الأخرى شقيقة الاشتراكية. ما في ذلك شك عندي فهي كما مر هنا: فنفس الظروف والفوائد المادية هي التي أوحت إلى قادتها وكتابها في هذا العصر، وفي غيره من العصور بتبني المذهب الرأسمالي، فكرياً، واقتصادياً، واجتماعياً. ويخطىء جداً، أقول يخطىء من يظن أن الرأسمالية خطرها أخف من الشيوعية فنحن نعلم أن الكفر ملة واحدة وإن تفاوتت أضراره على بني الإنسان في هذه الحياة، ولهذا كما قلت إنه من الواجب على المفكرين أن يدركوا حقيقة الوضع في هذا الحين وأن لا يفوتهم أبداً خطر وضرر كل مذهب بصرف النظر عن اسمه ومسماه.

(٥)

القسمُ الثّاني



أَصْلُ التَّطور: تبنت الشيوعية هذا الأصل وذلك لغرضٍ سيءٍ ولكنه على كل حال مُدرك تسهل معرفة سبب ذلك وأنه « تفسير المجتمع بكل أجزائه على أساس التطور حسب التناقضات الطبقية الموجودة بداخله وذلك لكي تستنتج من هذا أن المجتمع الرأسمالي الذي لم نتمكن من السيطرة عليه نظراً الى قيامه على أساس الكفاءات لا الانقلابات ينطوي على صراع الطبقات... وأن هذا الصراع يؤدي بهذا المجتمع إلى التطور المفاجىء الذي يحل التناقض الرأسمالي لتتسلم الكراسي فيه الطبقة العاملة ـ [البروليتاريا] ـ ». لقد نزلت الشيوعية الى درجة أنها كبلت العقول والأفكار وقيدت الحريات... إنها في المجال الغير تطبيقي تغري، وفي المجال التطبيقي

نار حامية ذاق حرارتها أناس معروفون[1] لقد ظلت الشيوعية وهي ظالمة حين اتخذت الديالكتيك حقيقة مُطلقة ولا نهاية للعالم . . . وفوق ذلك تعثرت حينما تبنته واعتبرته مذهباً رسمياً فوق كل بحث ونقاش واتخذته مرجعاً في كل فن وعلم .

إن الانسان اليوم في معاقل القوم في نارٍ مروعةٍ يريد الخلاص ولن يكون الخلاص ما لم يرجع الانسان اصلا إلى الله يسأله خائفاً راجياً .

التناقض التطوري : ولعله هنا يتضح اكثر من ذي قبل حقيقة الشيوعية في مخالفتها للمألوف ومحاولة وضع العراقيل في طريق العابرين . . . إن الشيوعية حين تبنت هذا الأصل « تناقض التطور » لتُغذي الشعوب بحقدٍ دفين داخلي ولاستخدامه في تطوير سياسي يكون لصالح الحزب المعين . . . إن الشيوعية تفتش عن القانون الصالح لها ثم تتبناه وبالتالي تجلب الأدلة ليُقبل مهما كان الطريق . . . إن الشيوعية تبدو حتى الآن وحشاً مفترساً

---

(١) منهم : أندريه جيد . وستيفن سبندر . ولويس فيشر . وآرثر كسلر . وأجنازيون سيلون . وريتشارد رايت .

لا يقبل ولا يحاول أن يقبل... إن المسلم ليعجب كثيراً من ذلـك... إن التـاريـخ الاسلامي تحدث بكـثرة عن شرور ظهرت في ديـار الاسلام وكـذلـك التواريـخ العالمية... ولكن من الصعب أن يكون شراً مثل هذا الشر الأخير... إنني استغرب حينما أقرأ أخباراً عن أفعالهم ويأخذني من ذلك دوار... والحقيقة أنه لا يمكن مقارنة الشيوعية بغيرها ولكن الذي يمكن ونقوله كيف كان تسربها الى ديار المسلمين.

إن الجواب مطلوب من القارىء على كل حال إن عليه أن يبحث ويقرأ ويسأل ولن يكون الجواب بعد ذلك بعيد المنال.

قفزات التطور: إذا أدركت الشيوعية أن شيئاً ما يوصلها إلى غايتها فلا جرم ترتكبه،ولما رأت «أن الشيء الوحيد الذي يحقق لها السيطرة السياسية هو الانقلاب اخترعت قانون «قفزات التطور»، ذلك القانون القائل بتحولات دفعية للكمية الى الكيفية وعلى هذا الأساس لم يعد الانقلاب جائزاً فحسب بل ضرورياً وحتمياً ايضاً».

يقول لينين: «إن الثورة البروليتارية غير ممكنة بدون

تحطيم جهاز الدولة البرجوازية بالعنف »[1]

ويقول انجلز: « الثورة هي أشد قوالب البطش عبثاً برواسخ الميراث القومي وحين يتراجع هذا الميراث أمام العمل الثوري فسيملك الاشتراكيون المقدرة على استبدال الميراث القديم بنماذج اشتراكية يسهل رواجها بالعنف تارة وبالدعوة تارة اخرى. ومهما انحط مستوى الحياة القومية في هذا الوضع فلا خوف على الحركة الاشتراكية طالما أن قيادتها تتعمد وتنشط لترويج الاسطورة الثورية باسم الصالح العام... إن زوال رواسخ الميراث القومي القديم سيترك الجماهير بلا مرفأ للنجاة، سوى ما تسعفهم به القيادة الاشتراكية من خطة وبرنامج »[2]

قانون الإرتباط العام: لقد تبنت الشيوعية أو الاشتراكية المعاصرة هذا الأصل لأمور قد يحار المرء العاقل منها ويتعجب من كيفية هذا التبني لهذا الأصل المهم بالنسبة لهم... لقد تبنته لهذه الأمور:

أولاً: ربط حركات التحرير بعضها ببعض حتى تشكل

---

(١) الأسس اللينينية.

(٢) البلاغ: ص٤١.

وحدة نضالية تستطيع الشيوعية عن طريقها السيطرة على الأرض سيطرة تامة شاملة.

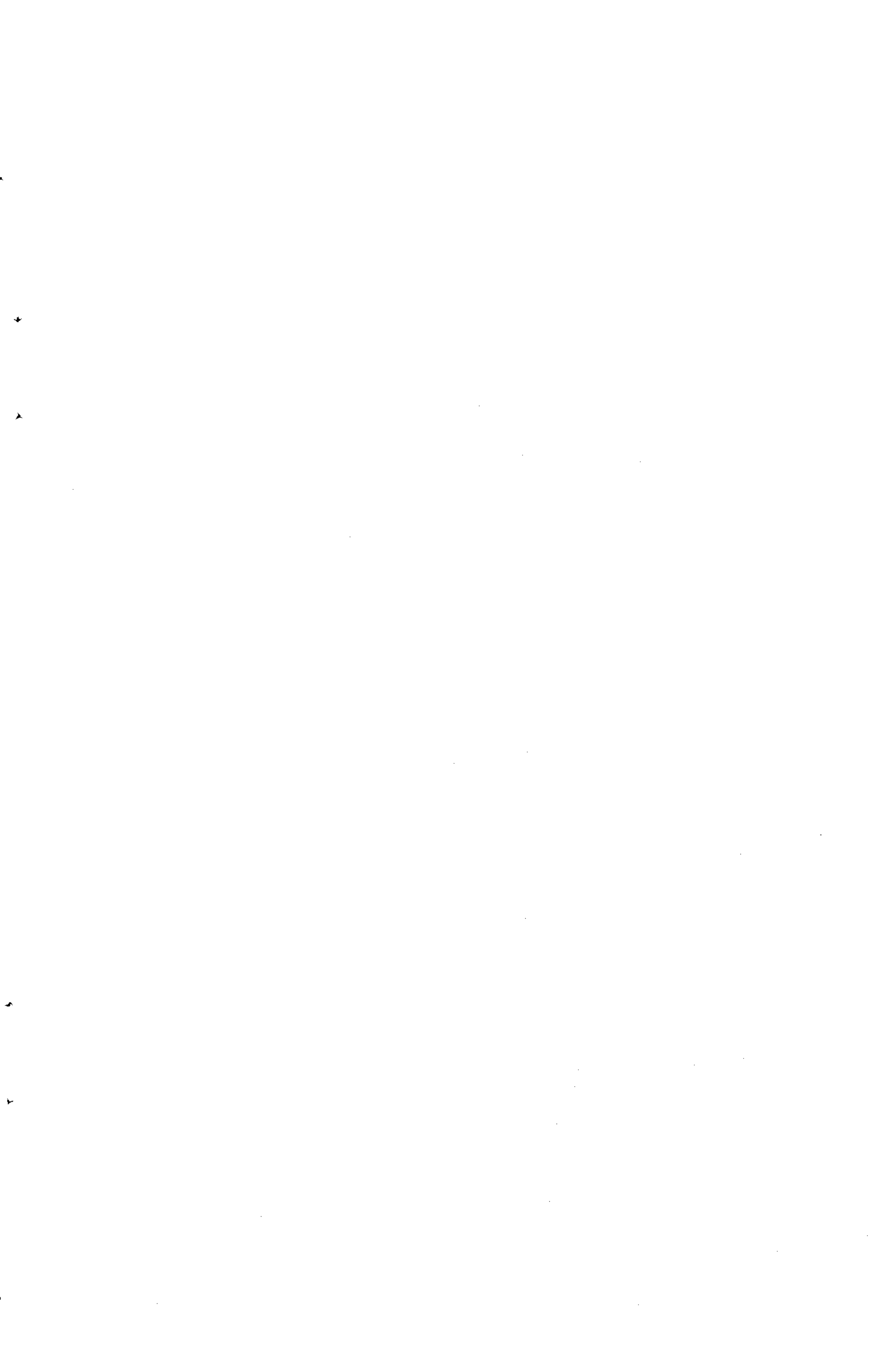
ثانياً: تزييف الأديان بحجة أنها إنعكاسات ظروف معيشية معينة ولا حاجة إليها بعد اليوم.

ثالثاً: إيجاد الثورات بين جميع الطبقات حتى تستوي الأرض من دماء الاغنياء ويشترك في كل شيء.

رابعاً: ـ حرية الانسان وعدم تفكيره بخالق يراقبه ويحاسبه ـ إن الشيوعية هكذا تقول ولهذا تبنت هذا الأصل وتزعم أنها خير وأنها بركة وأنها رحمة... وهي لم تحل مشاكل نفسها... لقد دهورت الفكر وعطلت العقل وكبلت اليد فهل لأحدٍ بعد هذا من خلاص...؟ إنه يصعب جداً على الشيوعيين أعني الذين يجهلون حقيقة الشيوعية وهم فيها يصعب عليهم معرفة الخطر... وما داموا يعيشون في ظل الفكرة والمذهب والاعجاب فانهم لن يتمكنوا من التعمقِ والنظر الدقيق للحكم المنصف وقد جرت العادة وقالوا في الأمثال: «إن الاعجاب يعمي ويصم»: إنها حقيقة أرجو أن لا تناقش والعود أحمد.

(٦)

حَاجَة الفِكْر الإسْلامي إلى النّقد لمواجَهَة المذاهِبْ الهدّامَة



النقد في مجال الفكر الاسلامي المعاصر يحتاج إلى رجال مُتضلعين قصروا دراستهم عليه، وتمكنوا من معرفة ما يعتريه من أمور لا بد منها في هذا المجال الحيوي المهم.

والنقد أمر مجزوم بفائدته ومقطوع بدوره في بناء ما اعوج من قضايا ودراسات وهذا في الوضع الراهن والعصر الأخير. لا بد من نقد، ولا بد من أمرٍ منتقد، ولا بد من علماء من كلا الطرفين... وما لم تتوافر جهود الدارسين في الفكر الاسلامي فإننا نلاقي صعوبة لا نظير لها فيما مضى من زمان... وحاجتنا الى النقد اكبر من حاجتنا الى غيره لأن الوضع يستدعي هذا من باب أولي ويلح في طلبه ويدعو إليه... وتفصيل القول فيما يمكن أن يُقال في محيط الفكر الحديث... أن كثيراً من العلوم لم تكتب بعد ولم يتخصص لها علماء حتى هذا الحين...

فالناريخ مدون ومكتوب لا شك في ذلك إلا أنه يحتاج الى صياغة وكتابة من جديد .

والأدب بنوعيه الاسلامي والعربي البحت، لم يكتب، والثقافة والاقتصاد على العموم كل هذا يتطلب القيام بجهود جبارة تقوم عليه ولا تدبر عنه وما تدبر عنه حتى تعود إليه، بذلك يمكن إيجاد فكر إسلامي مستقل له تصوره ونظرته نحو الانسان والكون والحياة . . . ومتى ما استقل الفكر الاسلامي أصبح المسلمون بإذن الله قيمة عالية يقلدهم غيرهم ويقتبس منهم كذلك بل يُسلم كثيرون . إن هذا الكلام الذي نسوقه الآن يقودنا الى نتيجة واحدة تظهر من خلال ما سبق من إيضاح في ذلك المجال وهو أن الفكر الاسلامي لما لم يكن متخصصاً ولما لم يكن له علماؤه إلا في القليل النادر فإن من نتائج هذا الخلل في الفكر الاسلامي أن انتشرت المذاهب الهدامة، وتسربت الى الدخول في عقر دار الاسلام وانتشر هذا بين الشباب لأنها لم تجد من يقاومها أو يقوم عليها بنقد علمي جاد .

ولست أنكر ما قدمه بعض المفكرين الاسلاميين من

دراسات طيبة ونقد رفيع،إلا أن هذا لا يغني في الرد على المذاهب المتأخرة... وخاصة الشيوعية التي استندت على بحوث علمية هائلة صعبة الأسلوب مقرونة بأمثلة ودلائل تغري الكثير ممن لم يكن له الحظ الأوفر من الاطلاع على كتب السلف الصادقين والمعاصرين المدركين إن دراسات: المودودي والندوي ومالك بن نبي ومحمد البهي ومحمد محمد حسين وعماد الدين خليل هذه الدراسات التي قدمها هؤلاء وغيرهم لا جرم فعلت ما لم يكن في الحسبان من تقديم جهاد عظيم رد كثيراً من الافكار والآراء الواردة... بيد أني أريد أن نقوم لا بعملٍ مبتورٍ بل بعمل متكامل يوحي بقوة المعرفة وإدراك أسباب انتشار المذاهب، ومن ثم دراسة ما يمكن دراسته للرد والنقد والنقاش حتى نتمكن في خلال مدة قصيرة أن ننتقد ونعلل بطلان غير ما جاء به الاسلام في الحياة وبعد الممات...

إن الذي قدم حتى الآن اعتبره أنا بداية توحي انشاء الله ببداية متكاملة تقوم أولا بدراسة الاسلام واحكامه من كتبه الصافية الأولى: (الكتاب والسنة وكتب

السلف) ومن ثم دراسة أوضاع البشر وما تحتاج إليه الانسانية.

إننا نعاصر الشيوعية بل الجاهلية وننتقدها ونرد عليها ونجتهد في ذلك ونبذل أثمن الأوقات وهذا جهد المقل وما يستطيعه المرء بالنسبة إلى عمره المحدود ووقته المعدود... ولكن كل ذلك أراه غير نافع في مجال إزالة ما تقوم عليه الشيوعية وما تعتمد عليه من قوى ومواهب وإمكانيات وليتنا درسنا ما قام به ماركس وانجلز ولينين وستالين وماو وبرجنيف من جهود وتعليمات ولو درسنا ذلك لتمكنا إذاً من الوقوف على سر انتشار هذا المذهب الخطير الذي نالته الشيوعية في وقتٍ قريب.

لقد اخلصوا وتخصصوا وضحوا من أجل سيادة هذا النظام وتقريره وتطبيقه في واقع الحال وواقع المقال... ونحن ازاء هذا لم نقم بشيء يُذكر ولم نتخصص في المجال النقدي الخاص.

وفي حياة ابن تيمية وابن القيم والأئمة من قبل ومن بعد خير معين على ما نقول وندعو اليه... لقد تفنن أئمة هذا الدين بشتى العلوم وأدركوا علوماً لم يدركها أهلها فأتوا

بعملٍ كبيرٍ سد ثلمة بقيت مسدودة وستدوم ونقد المذهب الشيوعي إذا أردنا نقده وتعليل فشله في التطبيق وتسيير دفة الحياة نحتاج الى أن نقوم بعملٍ كبير قد تنقضي آجالنا ونحن بعد لم نصل إلى ما نريده من مراد . . . ونكون في هذا قد رسمنا الطريق للجيل الآتي لكي يقوم بمواصلة الطريق إلى نهاية المطاف .

والأمل كبير في الأجيال المقبلة إذا هي قامت بالمطلوب من دراسة المشكلة والأسباب والحلول وافضل الحلول . . . إننا في الحق ونقول ما فات بحاجة الى النقد المقوم للاعمال . . . إن الدراسات الاسلامية تريد من يضعها في الميزان ويقومها ويقوم عليها .

لقد كان الفكر الشيوعي في أول أمره خاملاً لم يتعد حدوده ولم يتمكن من التطبيق إلا بالقوة والقتل والتعذيب . . ولكن في المدة الأخيرة وحين قامت الدراسات العلمية والدعاية الكبيرة تسلل إلى بقعٍ لم نكن نظن أنه يصل إليها وما زال الشيوعيون يقومون بأبشع الجرائم وابشع انواع التعذيب وبالمقابل يقوم غيرهم من كبار علمائهم الى التأليف وتدوين البحوث . . .

وهذان أمران يتعاضدان في توسيع الكتلة الشيوعية في العالم... وهذا يدعونا أن نكون اكبر منهم في مجال التأليف بعد النقد العلمي والعمل على نطاق واسع كبير... وبهذا كله نتمكن من تكوين أمة مستقلة لها ميزاتها التي كانت لها في عصرها القديم.

ولعلي لا أخالف قول القائلين بأن العالم الاسلامي يتجه الآن نحو وعي إسلامي متفهم... وأنا أقول كل هذا حقيقة لا جدال فيها بين المطلعين على أحوال العالم... وإن كنت في خلاف فإنما يكمن خلافي.. هل أدينا الواجب المطلوب وبذلنا جهدنا الأكيد تجاه المذاهب المعاصرة...؟

إنني أوافق ولكنني أخالف وموافقتي وخلافي يأتيان بعد نظر ودراسة.

وأخيراً.. فإن الناظر إلى الدراسات الاسلامية وحاجتها الى النقد يرى قصوراً... وليس القصور مرجعه الى العلماء السابق ذكرهم... وإنما يأتي القصور من عدم التفرغ والتخصص من قبل المتفرغين وإلا

فالذين أدوا دورهم قد أدوه... وهذا وحده يكفي في تعليل التقصير.

إن النقد المتجرد في كل مجال مطلوب وهو في مجال دراسات الاسلام ألزم من كل لازم، لأن الحاجة إليه تأتي في المقدمة لتكشف المراد من كل ما هو مطلوب... ونعني بالنقد تقييم هذه الدراسات ووضعها في مكانها الصحيح ونعني بالنقد تصحيح الخطأ مما هو خطأ وبيان الصواب مما هو صواب... وليس النقد الاسلامي للدراسات الاسلامية يُراد به التجريح أو بث الوهن وتضعيف قيمة أي كتاب... وإن كان كذلك فلا يُعتبر هذا من النقد في شيء والقول بأن النقد يجب أن يكون حين تتوفر وتتكامل الدراسات هذا القول له وجاهته إلى حدٍ ما، بيد أن هذا يعطل أو يعرقل مسيرة تلك الدراسات إذ يجب أن يسير النقد جنباً إلى جنب حتى يمكن تقويم الاعمال ووزن الدراسات المختلفة قبل أن تسير في طريق يصعب معه النقد ويتعسر مجاله في رفع القيمة ووزن النتاج.

ولقد حدث في أوائل القرن الرابع عشر الهجري

العشرين ميلادي أن قام باحث شيوعي فكتب مقالات جمعها في كتاب مستقل ولما كان الكتاب يدور حول مسألة أهمية الاقتصاد فقد اهمل نظرية الفكر الشيوعي نحو الانسان وطبيعة عمله في ذلك الفكر... وحين انتشر هذا الكتاب وسار خبره لم يفت علماء الشيوعية دراسته ووضعه في مكانه اللائق به بين كل الدراسات.. وكانت النتيجة أن ظهر بعد عامٍ ونصف تقريباً كتاب جديد ينتقده من وجهة نظر أنه كتاب يفقد التكامل والدراسة الموجبة لظهوره وذيوعه بين الناس... ولما كان ذلك المؤلف الأول مُخلصاً للشيوعية فقد استدرك الأمر وفي طبعة تالية عدل فيه وأضاف إليه الأمر الذي جعله اكثر قبولا من ذي قبل خاصة لدى كبار المثقفين... وتلك كانت نتيجة النقد التي أسهمت بهذا الدور الفعال.

ولعل هذا المثل يكفي في التعليل بلزوم وجود النقد الاسلامي للفكر الاسلامي الصحيح... ولعله ايضاً يدل على أن النقد مقوم للاعمال ومصحح لما يجب تصحيحه... ولا يعني هذا أنني أدعو إلى النقد ونحن في حالة عصيبة ليس نجد الوقت الكافي حتى يمكن إيجاد

النقد ، أو أننا في أول الطريق وأول المسار . . . بل يعني إيجاد الدافع القوي للدراسات الاسلامية الجادة وحسبي من هذا أنني أراه واجباً في حال نحن أشد فيها من أي حال .

وتوديع الكلام في هذا هو أنه لا بد من نقدٍ يكون الناقد فيه على جانب كبير من سعة الصدر وممارسة النقد الجزئي أولاً بأول ولا بد للناقد من معرفة لقواعد النقد في الأدب الاسلامي والتاريخ وعليه أن يكون واسع الأفق لديه حصيلة من الادراك والذكاء وحسن التصور[١] .

ولعله بهذا كله يستطيع أن يدخل معركة النقد بثقة تامة ليتكون من نقده كل ما هو صالح جاد ، ونحن نعلم أن ممارسة السب والقدح ليس بشيء إذ من شأنه إثارة حفيظة المنتقد . . بفتح القاف . . ونحن نهيب بكل الكتاب الاسلاميين وحتى المتخصصين منهم أن يمارسوا

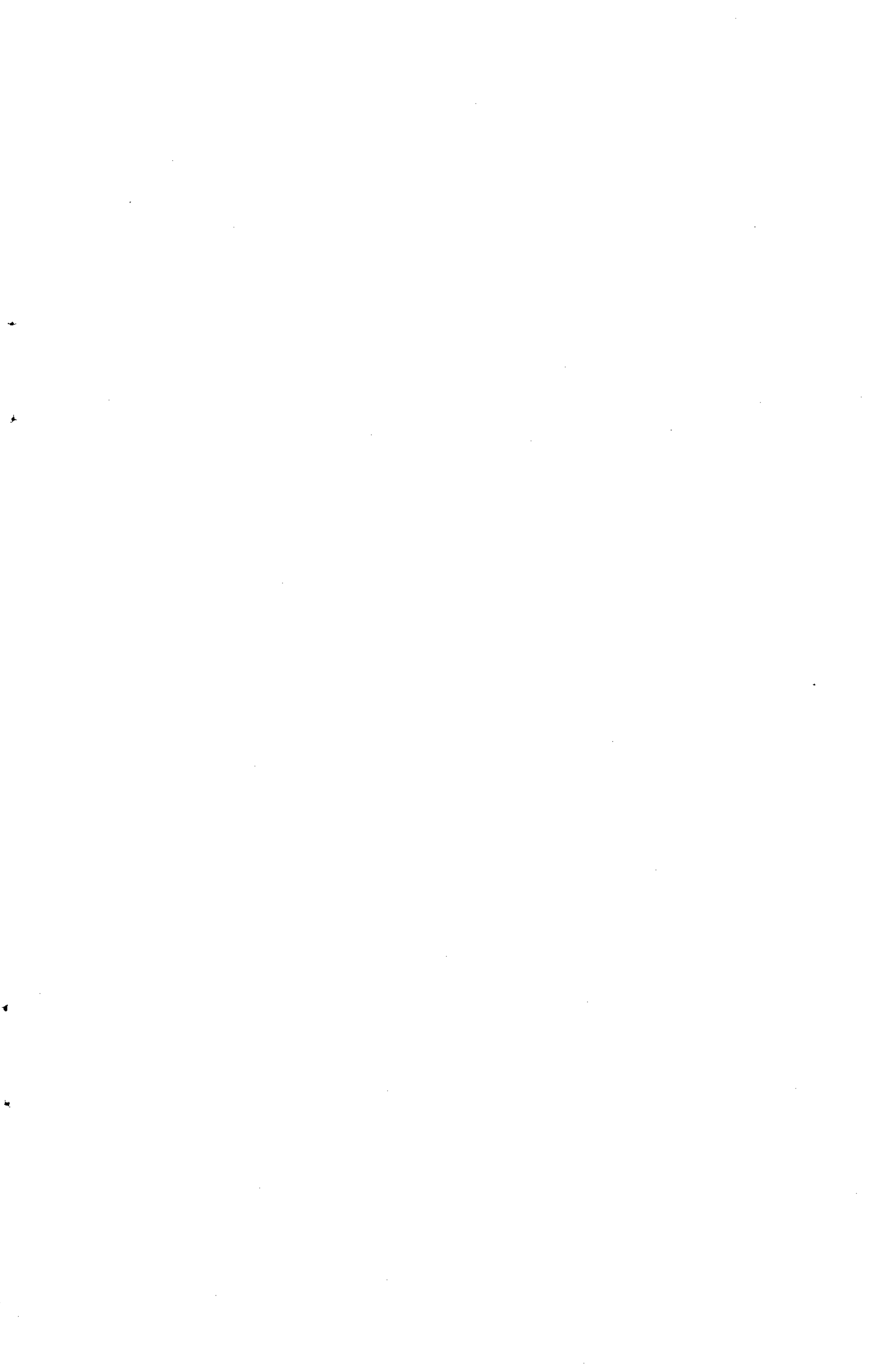
---

(١) يحسُن بالناقد المُسلم أن يكون مرتوياً من كتب العقيدة راجعاً في ذلك إلى الكتاب والسُنة ، وأن يطلع على كتب النقد في الأدب العربي الحديث والقديم للإستفادة ، ويحسُن به أيضاً أن يكون نقده وانتقاده كلياً وأن يكون صريحاً متأكداً من حقيقة قوله :وأن لا يكون صاحبَ هوًى أو ميل .

النقد الموضوعي وتحديد المراد والتركيز على أصل الاصول في هذا الدين العظيم، وليس من الطيب أبداً نقاش الفروع والتحمس لها ما دام المنتقد قد خالف في أصل أو فرع يقرب منه ، وإن أملي لكبير جداً فيما أقول فعسى أن يكون ثم عسى أن يكون.

(٧)

إتفاق السّبيل باطِنًا



تحتك الأحداث بعضها ببعض وتتفاعل بقدرة الله وتقوم بدورها في مجال الحياة... وتتغاير الأحداث ويتغاير التفاعل ولا يكون ثمة التقاء أو تقارب فيما بينها البين...

وفي النادر من المشاهد أمام العيان أن تتحد أحداث متفرقة لتؤدي عملاً واحداً تكون النتيجة لصالح هذا الاتحاد وذلك التقارب... وحروب اليونان وفارس والروم من قبل والعرب من بعد لم يكن بين فريق وفريق تقارب أوالتقاء، وكل الذي كان مجرد تفرقة عريضة أدت أكبر النتائج في الحروب بين بني الإنسان... ولم يدون التاريخ حسب ما اطلعنا عليه أن هناك كان التقارب في تلك العصور الموغلة في القدم، ولعل الباحث حينما يعلل تلك الأعمال يجد أن الصالح المشترك مفقود وليس من

صالح يدعو إلى اجتماع الخصوم على هدف معلوم يعود بالنفع العميم على الجميع، ومرجع هذا على عموم المدوَّن في كتب الأقدمين أنه لما لم يكن لهم عقيدة أو صالح مشترك لم يكن ثمة اشتراك بل كان التنافر والتباعد وهذا هو المتوقع في أمة تفقد العقيدة الرابطة بين المتباعدين. صحيح ما قيل من التحالف والعهد والميثاق بين بعض قبائل العرب ولكن هذا كله غير مشروط ودائم لأن الحلف بشري يوقعه نفر عن نفر وقد لا يكون عن رضا لأن الذي يقوم به علية القوم من كل قبيلة وهذا لا يجعلنا نقول بالتقارب في ذلك الحين، وإن قلنا به فهو من باب أقل الشيء الذي يكون أو لا يكون.

إن الهدف إذا كان يحقق غاية واحدة للجميع فهو وإن اختلفت السبل المؤدية إليه لا جرم يكون جامعاً لكل تفرق واختلاف، إن التناحر الموجود اليوم بين أغلب المذاهب البشرية التي زخرت بها حياة الإنسان لا يعني عدم توحدها في الغاية بل إن الرجل القادر على سبر غور الأمور فيما يتصل بطبائع الأشياء يدرك حقيقة التوحد والاتفاق في المذاهب المعاصرة... لقد قيل إن العداء

قائم على أشده بين الكتلتين الشيوعية والرأسمالية وقيل كذلك إنه قائم بين أغلب المذاهب ولعل هذا القول لم يقل إلا بعد دراسة ومقارنة صادقة بين طبيعة المذاهب كلها.

وصحيح أننا نسمع ونقرأ عن ذلك البون الشاسع بين الشرق والغرب وأحياناً نسمع بالتفرق بينهما أو نسمع بمبادىء اشتعال الحرب إلا أن هذا الأمر وكما يبدو لواسع الاطلاع المدرك لحقائق الأشياء وطبيعتها ليس إلا تمويه مركزٍ للوصول إلى القضاء على هذا الدين الذي قاوم ويقاوم كل كتل الأرض، إن الإسلام هو الفريسة لكل صراع يقوم، ويقل أن نسمع أن غير الإسلام هو المطلوب... لقد ظن الناس أن الانطلاق من الإسلام حرية وأن التجرد منه عين الرقي والحضارة وأن الانفكاك من تعاليمه ذروة التمدن ولم يعلم هؤلاء أن الإسلام هو المطلق للقيود وهو الرافع لبني الإنسان إن الجهل بالإسلام أو التعويل على تعاليمٍ غير تعاليمه كل هذا يولد نفوراً كبيراً لدى جمهرة الناس... إن أغلب القراء في العصر الراهن تنكبوا الجادة وحادوا عن طريق الصواب بدعوى أن الإسلام لا يفسح مجال التفكير

والقول في كل شأن... لقد انحرف هؤلاء وهم أحرى بالانحراف من سواهم... إن هذا التعليل يبطله القرآن الآمر بالتفكر والسعي والجد والاجتهاد ويبطله ما نعمت به الإنسانية مما أتى به الإسلام من خيرات عظيمة ونعم كثيرة بقيت مورد كل فريق من هنا وهناك إن الإنسان حين يحكم عقله ويخلو بنفسه ويحاسبها ويورد عليها القول في كل شأن من شؤون الحياة يجد انعطافاً قوياً نحو ما في داخلـه من فطرة دينيـة ومن ثم تتغـير أحوال هـذا الإنسان... إنه بمجرد ما يطلب الحقيقة ويسعى صادقاً إليها فإنه ولا محيد سوف يرى بعين قلبه كل ما هو حق وصواب لقد حكَّم الإنسان هواه ونظر بعين ظاهرة إلى أشياء ظاهرة ومن ثم سقط هذا الإنسان في بئرٍ يصعب عليه منها الصعود.

لقد استغلت الشيوعية ضياع الإنسان في هذا العصر وقامت بدراسات مختلفة في كل مجال، مجال النفس والاقتصاد والتاريخ والأدب والفن لكي تعرف وتدرس النفسيات ومن ثم تجر إليها كل ضائع لا يهتدي إلى رشاد.

إن أكثر العلوم الإنسانية قد استهوت جملة من الناس

ودعت إلى نفسها أكثر من فريق ونادت إلى النظر فيها الأغلب خاصة الذين لم يكن لديهم قوة تمنع كل ما هو، زائف وباطل من العلوم المتأخرة. إن الشيوعية وجمالها من أسماء متعددة مختلفة قد داخلت العقل البشري ونالت منه قدراً كبيراً مما دعا جملة من المفكرين المسلمين أن يغتروا بهذا المذهب ويرون أنه من الإسلام...

إن الهدف الذي تسعى إليه الشيوعية من جهة والرأسمالية من جهة أخرى قد تحقق عن طريق بعض الكتاب والباحثين الذين اعتمدوا على فهمهم المجرد في قبول ما ظهر من مذاهب في العصر الحديث... ولو أنهم عادوا إلى الكتاب والسنة لهان عليهم الوقوف على كل ما هو حق مما هو باطل.

إنني لا أجد عذراً للمفكرين الإسلاميين ولا أجد مبرراً لهم في قبول ما قبلوه أو قالوه أو حسنوه على أقل تقدير... إن الغزو المدروس من قبل الكتلتين بشأن الإسلام يرفده ويقويه هذا السيل الجارف من قبل بعض المفكرين الإسلاميين الذين أدخلوا في الإسلام ما ليس منه.

إن النظامين الشيوعي والرأسمالي قد حققا الغاية من وراء كل سبيل مختلف... إن الهدف إذا كان هو الإسلام فلا خير في عمل العجب للوصول إليه. إن كل جهة تعمل كل ذلك من أجل بلبلة عقل المسلم وزعزعته.

إن الحرب مدروسة ومخطط لها بطريق معلوم... لقد دخل الفكر الشيوعي التاريخ والأدب والفن والاجتماع والاقتصاد والسياسة ولم يبق علم إلا وللشيوعية فيه النصيب المعلوم، وإذا كان من المعلوم لدارس التاريخ والأحداث أن اليهود وراء الشيوعية فإن هذا يُضيف صعوبة في مطلب هدم هذا المذهب النحس.

إن الفكر الشيوعي اعتمد على العلم ودخل فيه وأخضعه لقواعده بأساليب رفيعة وأدلة فائقة... إن الحرب لم تعد حرب سلاح بقدر ما هي حرب فكر... إن السلاح يُجبر ويُخضع ولكن العلم يُقنع ويُعجب وهذه بلية العصر الحديث... إن الإسلام هو محط النظر وراء كل عمل مدروس ولم تفعل الشيوعية هذا الفعل إلا لما علمته مما في الإسلام من قوة وصلابة... فهل يبقى الفكر الإسلامي في عطلٍ أو في بداية الطريق...؟ إن الفرق

بين الفكر الشيوعي والإسلامي هو أن الأول له من يحميه وينصره ويمده بكل يدٍ ومال وهذا سر النجاح أو بعض سره على ما هو مدون ومعلوم، إن الفكر الإسلامي عظيم في تلبيته لحاجة الإنسان وفي إيضاح السبيل والغاية من وراء الحياة... ولكن هذا يحتاج إن كان بحاجة إلى نشرٍ دائمٍ مستمر عن طريق المسلمين في شتى الميادين... إن إبراز الفكر الإسلامي وتدوينه ونشره كفيل برد الإنسان إلى ما أراد الله ورسوله... ولعل إشكال المعرفة في الفكر الإسلامي كله هو أن الذين يكتبون عنه أناس ليس لهم معرفة كبيرة بأصول وفروع دين الإسلام... إن أكثر مفكري الإسلام الذين برزوا إلى ساحة الفكر يحتاجون أنفسهم إلى عودة إلى كتب الأولين الأعلام ومن ثم يهون عليهم المشكل ولا يحتاجون إلى زيادة بيان... إن الخطر يكمن في أن الفكر الإسلامي دخل فيه من لا يُحسنه أو يُحَسِّنه ولكنه أساء إليه... إن عبد الحميد جودة السَّحار وعبد الرحمن الشرقاوي وتوفيق الحكيم ورجاء النقاش وأحمد زكي وساطع الحصري وأمثالهم لم يقدموا الإسلام على حقيقته بل إن

ساطع الحصري خرج من الدين بكتابه « العروبة أولاً » .
والكل قدموا الإسلام بشكل يرفضه الدين من كل الوجوه وخاصة رجاء النقاش الناقد المعروف وهذا مُراد الشيوعية التي تريد ستر ما في هذا الدين من أصالة وجودة ومسايرة للإنسان في شتى العصور . إن الحروب الظاهرة للعيان وما يُقدم في هذا العصر من مناوشات ليست إلا من الأمور المغطية لعظيم ما تسعى الشيوعية إليه من الحكم العام المطلق في بلدان المسلمين . . . وذلك عن طريق الفكر الحر وبث الشكوك والتناقضات في الفكر الإسلامي على يد الكتاب والصحفيين الذين رضوا لأنفسهم بالتبعية لمن هو أقل منهم في الإدراك لو كان هناك الإدراك . . . والحقيقة أن النسبة لا محل لها في موازنة الأفكار البشرية بالفكر الإسلامي الأصيل المأخوذ من الكتاب والسنة . . . إن عقل الإنسان محدود ومعطياته معلومة وإمكانياته قاصرة . . . ومن نقص الموازنة في الموازين أن يُجعل الفكر الإسلامي الحق بجانب الفكر الإنساني . . . فليس للإنسان مهما كان ومهما وصل إلا الإسلام . . . والانسان مهما بلغ طموحه ومرتقاه فله حد محدود من كل طموح ومرتقى والإسلام بحمد الله

يغذي الطموح ويدفع إلى الرقي الأمثل المعلوم... ولعل المجال لو أفسح للفكر الإسلامي وقام عليه علماء مدركون لأمكن أن يكون الوضع بخلاف ما هو عليه الآن ولعلنا لا نحتاج في هذا إلى معول من شاهد أو دليل. إن الإسلام يُحارب والخطر على الإنسان ولو تعقلت الإنسانية وكانت أكثر تفهماً ودرست الأمور ووزنتها بميزان القرآن وسارت على هديه وإرشاده لأمكن الرجوع إلى الإسلام... إن العلماء الذين أسلموا وأشهروا إسلامهم لهم بقية باقية لم يصل إليهم الإسلام إلا وفيه تشويش. إن الإسلام حين يكتب عنه مخلص جاهل أو مجتهد مخطىء يجب عليه أن يكون ذا عقل يعرض إنتاجه على العارفين، وأخشى ما تخشاه الشيوعية أو أي نظام آخر يكمن في انطلاق الإسلام في إطار صادق سليم ينبع من القرآن والسنة... ولذلك فإن الأنظمة تحاول جاهدة أن تحول بين الإنسان والإسلام مهما كان ثمن هذا السبيل. إن الإسلام محصور بين هاتين الكتلتين وموقعه عظيم بالنسبة لانطلاقه ولكنه في حرج كبير من أعدائه وأهله... فأعداؤه يحاربونه لا يفترون ـ وأهله يُسيؤون إليه ـ وهذه في نظري محنة قل

أن يُوجد لها أي مثيل فيما سلف من عصور .

إن المراد من كـــل مـــا هو مراد من وراء الحروب الفكرية بين أنظمة الإنسان اليوم هو اقتناص القدر الكبير من المسلمين خاصة الذين لهم وزنهم لكي يسيروا على أكتافهم لاحتلال هذا الدين وتغييره ومسخ معالمه وهذا مكمن الداء الذي ليس له علاج إلا في التمسك في الإسلام ... إننا حين نريد إيقاف الخطر من قبل أي نظام لا يحتاج هذا منا إلى مشقة بل إننا نحتاج إلى الفهم والوعي والإدراك والإخلاص والبذل وأن يكون بجانب هذا كله حماية معنوية ومادية تكفل المسير . إن الحماية مطلوبة إذا توفر العلماء العاملون المخلصون ،والإسلام لا يحتاج إلى من يدفعه فهو بطبيعته مدفوع ونظرةً واحدة إلى الفكر الشيوعي تعطينا أصدق الصور عليه فلو أن الفكر كان مجاله دون قوة تحميه ،لرأينا للشيوعية أكثر القبور ولما رأينا بالتالي هذا التوسع الكبير ... وذلك لأن الفكر المجرد لا يمكن أن يسير هـــذا السير بقليـــل من السنين ... إن الفكر الشيوعي وجد من يحميه من رجال

لهم الصولة في مجال الأمر والنهي وفي مجال النشر والذيوع . . . ولا يخفى أن الفكر الإسلامي فيه خصائص ليست في الفكر الشيوعي وفيه قوة لا توجد في غيره دون نزاع وإذا علمنا أن الفكر الإسلامي مستمد من منبع عظيم أدركنا سر قوته التي تسقط دونها أسرار القوم في كل حين. إن الأفكار الإنسانية لتتفاوت في درجات الذكاء والمواهب المختلفة وتختلف من حيث القوة والضعف والاستمرار والانقراض ولو فرضنا أننا تركنا الفكر الإسلامي يواجه الفكر الشيوعي لظهر الفرق بين هذين الفكرين إن جاز تسمية الشيوعية بأن لها الفكر . . . وإذا علمنا أن فكرنا معتمد ومأخوذ مما جاء عن الله بطلت المقارنات ولكن كل هذا من باب الإقناع والتنزل والمناقشة بالحسنى .

إننا نريد أن نخلص إلى أن الإسلام هو محط النظر من إثارة الحروب وهو منتهى القوم الذين يتظاهرون باختلاف السبل والطرق المؤدية إلى العمل المعلوم . . . إن القصد هو محق هذا الدين والقضاء عليه عن طريق زعزعة النفوس وبث الشكوك فيها والنيل من قلب المسلم

عن شتى الطرق الموصلة لهذه الغاية ولو ذهبت الأوطان بسبب ذلك.

(٨)

قواعِدُ المناقشَة

يختلف الأطباء وإن كانوا متخصصين في مرض معين في نوعية مرض المريض وصرف العلاج له . . . ويختلفون في القدرة والمعرفة كما يختلفون في الطريقة وخاصة الإخلاص . . . والقياس في محله إذا قسنا هذا على ما يدور اليوم من آراء وأفكار . . . فالمفكرون النقاد في المجال الإسلامي العريض هم الركب الأول لتصحيح الاعوجاج وهم بقدرة الله السد المنيع أمام الزحف الفكري الوارد من عقل الإنسان . . . وكما يختلف الأطباء كذلك يختلف نقاد الفكر الإسلامي والمفكرون على العموم ولولا هذا الاختلاف لما ظهر سر النبوغ والجودة في تدوين القول ، بيد أن الإخلاص هنا أمر مطلوب لا منصرف عنه ولا سبيل ولولا إخلاص المخلصين والبذل في هذا السبيل لما انتشر فكر ولا ساد نظام وإن

يسد يوماً فإن مصيره الفشل. والفكر الإسلامي الحديث يواجه هذا الخطر الطويل المحكم المتمثل بالشيوعية وهو إذ يواجهه يحتاج إلى رصيد بالغ جيد بدونه لا يمكن أن يسير في رده ولا يتمكن من الوقوف أمامه لا سيما إذا قد علمنا أنه تغلغل في بلاد كثيرة، والفكر الإسلامي إذا لم يكن معه من النقد ما يقومه ويصحح له السير والمسير وإذا لم يكن مبنياً على الجد والأصالة ورجاحة الحجة وقوة الدليل وعلو الأسلوب وإذا لم يكن له قوة تحميه فأكاد أجزم أنه لن يفلح في طريقه الشاق الطويل... ولعل في القواعد الآتية ما يرسم لنا الطريق للوصول إلى فضح النظام الشيوعي وأخيراً تبيين زيفه وأنه مبني على القوة ولا مزيد... والقواعد زاد من أراد الزاد ولا جرم فإنها سلاح بدونها يصعب حمل السلاح وأول هذه القواعد التي نراها في هذا السبيل:

أولاً ـ معرفة العقيدة الإسلامية المعرفة الكافية الحامية وفهم الكتاب والسنة الفهم الصادق الواعي والتغذي بكتب السلف من علماء هذا الدين الذين كتبوا في العقيدة ومعاني القرآن وأسراره وفهموا الحديث فهماً تاماً

قصروا أنفسهم على ذلك وهذه قاعدة مهمة لمن أراد الخوض في مجال النقد والمناقشة والردود.

ثانياً - أن يتخصص بعض المفكرين لدراسة النفس الشيوعية وطبيعة حالتها ومواطن القوة والضعف فيها وأن يأتوا بعمل كامل غير مبتور للتمكن من نقض الآراء والنظريات والقواعد التي تقوم عليها فكرة هذا المذهب.

ثالثاً - أن تتكامل المعرفة التامة للفكر الشيوعي من خلال دراسة الأحوال العامة والخاصة للذين يخضعون لهذا الفكر وأن تكون المعرفة في الحدود الشيوعية لئلا يختلط الأمر بين فكر وفكر فنخطىء من حيث نريد الإصلاح ولا خير هنا من الاستفادة من المذاهب الأخرى إلا أنه يجب هنا أن نقصر الهم على الأول.

رابعاً - أن تتوفر الرغبة الأكيدة في نفس المفكر المسلم وأن يكون على بعد كبير عن مطامح النفس البشرية التي يذهب معها كل صالح مع الأيام وأن يحاول التجرد التام في الحوار والمناقشة والنقد وأن يبتعد عن الشدة وإيراد ما يبعد النفس عن قبول الإسلام من السب والشتم التي تبعد العلم والعقل عن الأسلوب مهما كان نوعه من حيث

القوة والتركيز والسبك.

خامساً- أن يحاول جلب الأدلة من القرآن والسنة وكتب السلف وأن يكون على جانب جيد لمعرفة مكان الدليل وما يُراد به وأن يحافظ على الالتزام في مجال دفع القول وإيراده في كل نقطة من نقاط الجدل.

سادساً- أن يستشير العلماء ويرجح ما يراه راجحاً من القول وأن يكون مدركاً أن الدخول أيسر من الخروج.

سابعاً- أن يكون على جانب كبير من المرونة والذكاء وسعة الاطلاع وأن يكون فاهماً للفرق بين الأفكار وأنها أفكار بشرية عرضة للنقص على الدوام.

ثامناً- أن يكون صامداً أمام ما يقال عنه وأن لا يشك في نفسه وأن يحاول أن يكون متواضعاً وقابلاً للنقد المبني على سلامة النية وأن يُغير ما يراه موافقاً للتغيير وأن يكون قريباً ممن أراد مناقشته فيما أورده وأن يحتقر نفسه بنفسه ويؤمن بأن الله الهادي إلى سواء السبيل.

تاسعاً- أن يكون دائماً على معرفة جيدة حول ما يجد

من الأفكار والنظريات وأن يتابع الخطوات في الفكر العام ويدرس كل جديد على حدة لتكون دراسته مرتبة تُعجب طالب الحقيقة وتقود إليها كل من غالط نفسه أو داخلها نوع من القلق والتعقيد.

عاشراً- أن يتأكد التأكد القوي أنه في هذا السبيل إنما يقوم بواجب يُسأل عنه أمام الله ثم أمام التاريخ والناس وإن هو أهمله مع القدرة عليه فإنه مؤنب أمام نفسه وأمام الجميع وأن يكون على صلة مستمرة بما يقوي معنويته من الاتصال بتراث الإسلام الصحيح وهذا يدفعه إلى البذل والنشاط والقوة والفهم والاستمرار.

الحادية عشر- أن يستفيد من الأخطاء السابقة ويحاول أن يكون عاقلاً حكيماً في مجال البحث وأن يترك الخروج عن الموضوع ولا بأس من قبول الحق من الأعداء وإيراد أدلتهم الموافقة والتي هي بنفس الوقت دليل عليهم وأن يستخير الله في كل مسألة وقول وأن يجعل همه إرضاء الله ونصرة دينه وتوحد كلمة المسلمين.

ولعل أهم قاعدة يأوي إليها المفكر المسلم أمام أي نظام

هي قاعدة القوتين المعنوية والمادية وبهما يستطيع أن يعمل ما لم يكن بالحسبان... وهذه القاعدة لا تتوفر إلا لمن كان لديه مرونة ولباقة وحسن أخلاق ومعاشرة يحوط هذا كله إخلاص النية وطهارة القلب وسلامة النفس وقبول الحق من أي إنسان.

وبعد هذه القواعد، نقول إن الفكر الإسلامي بحاجة إلى نقد متجرد رفيع... وبدون هذا نرى أن الواقع يخالفنا على طول الخط ولعل في الأدب العربي وما شهده هذا الأدب من نقد على يد: الرافعي ومندور وطه حسين والعقاد[1] الدرس الجيد لمحاولة إيجاد النقد لنصل إلى القمة في يسر وسهولة وحتى بعد هذا لا نشعر بندم إذا قمنا بما نستطيع. والحقيقة أننا بحاجة إلى جمع الكلمة ومعرفة كل ما هو جديد. إن الإسلام بدون ـ الإنسان ـ بخير ونصر دائم ولكنه امتحان صعب لهذا الإنسان، هل يقوم بواجبه أمام الخصوم أم لا؟

---

(١) النقد الأدبي قد دفع بهذا الأدب إلى مكانة جيدة. بسببها ارتفع الأدب ـ مع ملاحظة ـ أن الأدب في تلك الفترة يفقد الالتزام **الصحيح**.

إن الله غني ولو شاء لانتصر منهم وهذه حقيقة أكدها بل قالها « القرآن » .

وخطوة أخرى في هذا الطريق نسجلها لعلها تكون مأخذ التنفيذ من العاملين على التعليم وهي أن تدرس الأنظمة والمذاهب البشرية الحديثة ويكون الدارس لها على جانب عظيم من علم بالإسلام أصوله وفروعه ويكون على درجة علمية رفيعة بالنقد وبيان الموضوع . . . ولا يعني هذا إهمال المذاهب والفرق التي ظهرت قديماً بل يجعل كل هذا بجانب أو جوانب وتدرس للطلاب خاصة في المرحلة الثانوية والجامعية والدراسات العليا. ويحسن بجانب أن تدرس حال المسلمين في العالم وهذا فيه ما فيه من النفع والخير العميم . . . ونحن بحاجة إلى أن يكون أبناؤنا على علم بما حولهم من شر كبير . إن الكتاب الجيد والمدرس الجيد المخلص من الأمور التي يجب أن تعار كل اهتمام . . . إن الكتاب إذا كان محتواه جيداً وأسلوبه راقياً مفهوماً . . . وإذا كان المدرس ذا شخصية بارزة فإن هذا من الأمور المؤدية للنجاح مهما قيل في صعوبة هذا المطلب أو ذاك . . . والواجب أن ما يقوم اليوم

بالبلاد الشيوعية من حيث تلقين المذهب للطلاب والمثقفين يجب أن نكون نحن أولى به منهم فهم يبثون تعاليمهم عن طريق وسائل الإعلام ويركزون على أهم القواعد ويمنعون عن بلادهم كل ما يخالف مذهبهم[١].

وأحسب القراء يفهمون أن اليهود قد نجحوا في تجهيل العالم عن طريق نشر العلم بجعل علم النفس والاجتماع والحضارة والتاريخ والشعر وهو من فروع الأدب من الوسائل المؤدية لسيادة الإنسان وتعبيده، وأنه آلة صماء لا تبدي ولا تعيد... وهم والحق يقال، قد تمكنوا من قيادة هذا الجيل الذي ضيع دينه ونسي ربه وتجاهل حقيقة وجوده في هذه الحياة المنتهية... إن مقاصد رجال الفكر في العالم الحديث أن يكون الدين الإسلامي في بعد عن الواقع ، إن إبعاده معنوياً هو المطلب المنشود وهو الأمل الراجح على كل أمل مرجوح... إن الإنسان الحضاري قد تقيد قلبه وشبت نفسه على ما في هذه الحضارة من بريق إن الشبهة قد تمكنت من القلب والشهوة قد سيطرت على الجسم... ولذا يكون من

---

(١) الصنم الذي هوى.

الصعوبة بمكان معالجة مثل هذا الانقلاب العجيب في تاريخ الإنسان[1]. إن العجب في محله إذا قلنا إن الحيوان أدرى بمصلحة نفسه من الإنسان إنه يدرك بفطرته ما يضر وما ينفع ويدرك خطورة ما في الطريق من زلات ومنخفضات... إن المسلم هو الضحية وهو الصيد الذي تحط إليه الأنظار.

ولا يخفى أن التخطيط الشيوعي قد علم بعد تطور وسائل الإعلام كما علمت من قبل مخططات اليهود الرهيبة، وهذا يوقفنا بجد على دراسة طبيعة الزحف ويجعلنا عالمين بما يراد بالإنسان وهو يجعلنا أكثر استفادة من ذي قبل في مناقشة الأفكار ورد النظريات ولا سيما ونحن نتميز عنهم بما وهبه الله لنا من قوة ليس فوقها قوة ولا جرم فإن الله يكفل النصر مع الإخلاص... ومجمل ما يمكن ذكره أن نحاول أن نكون كما أراد الله وأن نلازم القرآن والسنة الصحيحة وندأب على تلاوة وتفهم وتدبر القرآن لكي يمكن أن ننظف النفس ونصقل الروح ونطهر البصر ونطيب السمع ونتلفظ بالطاهر من القول الحق المرضي.

---

(١) راجع إغاثة اللهفان: جـ ١. من ١ الى ٧٠.

(٩)

الخاتمة

حمداً لله وشكراً له على توفيقه ومنّه،ثم صلاة على صفوته من خلقه خير رسول لخير أمة...

لقد قمنا بتدوين هذا القول في هذه الرسالة وقد حاولنا بذل الجهد، جهد المقل... ولعل الذي تركناه مما هو مطلوب تدوينه وواجب أكثر من المذكور وهذه صفة اتصف بها الإنسان وهي تشعر بنقصه وقصوره مهما حاول أن يصل إلى الكمال... وجملة ما قيل في الصفحات الماضية أننا ركزنا على أهم الأدوار والقواعد التي تشير إلى الشيوعية من قريب أو بعيد... وتناولنا الفكر الإسلامي المعاصر وحاجته إلى النقد العلمي الرفيع وقد يكون بعض ما ذكر في تلك الصفحات مما هو مدون هنا فيه خروج عن الموضوع موضوع نقد أصول الشيوعية ولكننا رأينا بعد تدقيق ونظر أن كل ما ذكر في الرسالة

متماسك وللقارىء أن يقدم أو يؤخر . . .

صحيح أن العنوان قاصر على نقد الأصول ، وذلك لأنها بيت القصيد وهي السبب الدافع إلى التأليف ، وأنا أعتبر نقد الأصول في المذهب الشيوعي من الجدة بحيث لم أقرأ شيئاً عن ذلك اللهم إلا إن لم يصل إلي شيء من هذا وأنا في كل هذا معذور وأرجو من الله القبول . . . وادعاء أن الرسالة كاملة من حيث المناقشة لا يحسن أن يقال ولكني مطمَئن على أية حال إلى أنها فيها كمال نسبي يرجى أن يقوم بدوره الفعال في هذا العصر وكل العصور . . . ولقد ناقش أكثر الباحثين المعاصرين الشيوعية نقاشاً طيباً إلا أن البعض قد وقع في خطأ غير مقصود أو خطأ أملاه عليه الواقع وذلك هو التفريق بين الشيوعية والاشتراكية ونعني بالاشتراكية :الاشتراكية أياً كانت وأياً كان نوعها لأنها في الأصل خارجة عن الإسلام ويغني عن الاشتراكية بحمد الله الزكاة والصدقة وأنواع التطوع والقربات والصلات ولذا جاء قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ . وكذلك جاءت السنة مشيرة إلى كمال الدين

وتمامه فلو كانت الاشتراكية مقبولة لقبلت، ولكنها مرفوضة والإسلام بريء منها مهما كان نوعها واسمها وأنا لا أعذر أي كاتب مسلم يتسامح في ذلك، وما قيل عن مصطفى السباعي وكتابه: «اشتراكية الإسلام». فقد قيل لي وتواتر القول أن السباعي تراجع وتمنى أنه لو رد على نفسه بنفسه فالكتاب على هذا لا ينسب له ولا إليه إلا من باب معرفة المجهول فرحمة الله لكل تائب...

ونقول إن عدم التفريق بينهما واقع ملموس والتفريق خطأ كبير في الفهم والإدراك وخطأ في معرفة المصطلحات التي تحتاج قبل كتابتها إلى بحث وتدقيق ومراجعة كبيرة لعلماء هذا الدين خاصة العلماء المختصين بالكتاب والسنة وأحكام الإسلام... وأيضاً فلهذا نظير في الخطأ وهو وقوع البعض في القول بأن الإسلام «ديمقراطي». أو أنه يماثل في قيامه ما يُسمى اليوم بالـ «جمهورية». فهذه أخطاء معضلة جداً فالإسلام إسلام وكفى، قام على الشورى والنظام والعدل والمساواة... والوقت ما زال معنا لتصحيح الخطأ والرجوع إلى الحق. وليس من سبيل إلى الوصول إلى

الحقيقة إلا عن طريق القرآن والسنة ومهما تجرد المفكر أو كان معجباً أو تابعاً لغيرهما أو مقلداً فإنه في عمله هذا إن كان كذلك إلى الفشل أقرب منه إلى النجاح من أجل ذلك تدهور « الجعد بن درهم » « والجهم بن صفوان » « وواصل بن عطاء » « وأبو هذيل العلاف » « وابن عربي » « وابن سينا » « والغزالي في أول أمره » « والفارابي » . ونحن الأحياء لنا عبرة بمن قد مضى في متقدم العهد ممن انحرف عن جادة الصواب فانهار من حيث ظن أنه في قمة من العلم كبيرة[1] وهذا غرور وهو قريب من الإنسان ما لم يتحصن . . . وأمام القارىء ما قلنا ونحن لا نلزم بطريقتنا أحداً أو نجبره على قبول ما قلناه ، ولكن قبل هذا فإن سعة الصدر وقبول الحق وإرغام النفس عليه هذا كله يأتي في مقدمة المقدمات . إننا قد عالجنا في هذه العجالة الأصول مع اختصار حاولنا أن نكون فيه متنزلين مع الخصوم وأن نلزمهم الحجة بمثلها ونقودهم إلى الصواب من أقرب طريق . . .

---

(١) قال في مفتاح دار السعادة الجزء الأول ما معناه : « الغرور مرض من أمراض النفس » . وهذا صحيح وقد دلت التجربة أن الغرور مرض قد لا يكتشفه صاحبه

ولما كانت الشيوعية في أول أطوارها المتقدمة لم يكن لها من القواعد شيء ولم يكن لها أدلة علمية. وأصول ثابتة فقد قصرنا العنوان كما سلف على العصر الحديث لأن الشيوعية دخلت الفكر الإنساني عن طريق العلم وبنت أصولها على أدلة سياسية وتاريخية واقتصادية فيها من القوة بقدر ما فيها من الضعف لمن أوتي بصيرة، والحقيقة لم نكن بحاجة إلى النقد وكشف التزييف وهتك ستر ما تقوم عليه الشيوعية لولا أن البعض يحتاج إلى هذا ليثبت لديه القول مع الدليل ونحن هنا لا نهدي فالهداية بيد الله وإنما كان جل ما قمنا به هو أن تبرأ الذمة وتقوم الحجة على الغير وهذا يعطي راحة البال وسكون النفس مع أن القصور ثابت ومعترف به ولكن أرجو الله أن يتجاوز ويجعل العمل خالصاً صواباً... وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وآله وصحابته إلى يوم الدين.

المراجع

الرقم	الكتاب	ملاحظات
١	بروتوكولات حكماء صهيون	أو : الخطر اليهودي التونسي
٢	الجمهورية	أو : جمهورية أفلاطون
٣	تاريخ الأمم والملوك	الطبري
٤	الملل والنحل	الشهرستاني
٥	لمحات من تاريخ العالم	جلال نهرو
٦	الصنم الذي هوى	طائفة من المؤلفين الأوروبيين : سبعة . . .
٧	نحن والتاريخ	قسطنطين زريق
٨	القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة	محمد أحمد خلف الله
٩	من هنا نبدأ	خالد محمد خالد
١٠	مستقبل الثقافة في مصر	طه حسين
١١	الإسلام وأصول الحكم	علي عبد الرازق
١٢	مجلة الآداب	عام ٨٧ هـ مصر
١٣	مجلة البلاغ	عام ٩٣ هـ الكويت
١٤	نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها	قيس القرطاس

١٥	الرسالة التدمرية	ابن تيمية
١٦	مفتاح دار السعادة	ابن القيم
١٧	الأسس اللينينية	لينين
١٨	إغاثة اللهفان	ابن القيم
١٩	مختصر رأس المال	كارل ماركس
٢٠	أفكار ماو تسي تونغ	ماو



العدد	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٥
٢	أصل الشيوعية	١٣
٣	تطور الشيوعية	٣٥
٤	نقد أصول الشيوعية	٥٩
	القسم الأول	٥٩
٥	القسم الثاني	٧٩
٦	حاجة الفكر الإسلامي إلى النقد لمواجهة المذاهب الهدامة	٨٧
٧	اتفاق السبيل باطناً	٩٩
٨	قواعد المناقشة	١١٣
٩	الخاتمة	١٢٥
١٠	المراجع	١٣٣

من منشورات مكتبة الحرمين